

بحث مقدم
لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات

البنية التركيبية للخطاب السياسي

عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي /

مقاربة لسانية

إشراف:

أ.د. مطهري صافية

إعداد الطالب:

مصطفى نورالدين

أعضاء لجنة المناقشة

جامعة وهران	رئيساً	<input type="checkbox"/> أ.د. بكري عبد الكريم
جامعة وهران	مشرفاً ومقرراً	<input type="checkbox"/> أ.د. مطهري صافية
جامعة وهران	عضواً مناقشاً	<input type="checkbox"/> أ.د. عبد الحليم بن عيسى
جامعة وهران	عضواً مناقشاً	<input type="checkbox"/> أ.د. ملياني محمد

بحث مقدم
لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات

البنية التركيبية للخطاب السياسي

عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي /
- مقارنة لسانية -

إشراف:
أ.د. مطهري صفية

إعداد الطالب:
مصطفى نورالدين

أعضاء لجنة المناقشة

جامعة وهران	رئيساً	□ أ.د. بكري عبد الكريم
جامعة وهران	مشرفاً ومقرراً	□ أ.د. مطهري صفية
جامعة وهران	عضواً مناقشاً	□ أ.د. عبد الحليم بن عيسى
جامعة وهران	عضواً مناقشاً	□ أ.د. ملياني محمد

السنة الجامعية: 1434-1435هـ / 2013-2014م



﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ
أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾
[النمل: 19]

شكر وتقدير:

الحمد لله حمد الشاكرين، بفضلته تتم الصالحات، وبمّنه وإحسانه تكتمل المكرمات،
نحمده سبحانه وتعالى أن وفقنا لإنجاز هذا العمل، ونسأله جلّ جلاله أن ينفع به، وأن
يتقبله منا قبولاً حسناً.

.. وبعُد:

فأتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة الكريمة: أ.د. صفية مطهري، على إتاحتها لهذا
البحث فرصةً عزيزة ليتحقّق، فأحاطته بالاهتمام، وتعهّدته بالرعاية والتوجيه .. في طيبة
نفسٍ، وتواضعٍ حمّ، وصبرٍ جميلٍ ..

وأتقدّم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الكرام، أعضاء لجنة المناقشة، على احتفائهم
بهذا العمل، ورعايته قراءةً وتقييمًا وتقويماً،

كما أتقدّم بالشكر إلى: أخي أحمد صلاي، وأستاذي الكريم: د. أحمد مطهري،
والإخوة الفضلاء: جمال ميموني، زهير هريقي، محمد بلمقدم، محمد بلقرينة ... على ما
قدّموه من مساعدات لا تقدر بثمن ..

وأشكر كلّ من أعانني في إنجاز هذا البحث، ومدّ لي يد العون، وساعدني في تجاوز
عقباته وتذليل صعابه .. ولو بكلمة طيبة .. والكلمة الطيبة صدقة.

.. أسأل الله تعالى أن يجزي الجميع خير الجزاء

إنّه ولي ذلك والقادر عليه

إهداء

أمّمي .. وأبي ..

كتابُ صدقٍ في حياتي ..

عنوانه: حبُّ ووفاء ..

وفصوله: تضحيةٌ وصبرٌ وعطاء ..

إليكما أهدي ثمرة جهدي ..

حبًا وطاعةً وعرفانًا جميل ..

إلى نبع الوفاء ورمز الإخلاص .. زوجتي الكريمة

إلى قُترة العين ومصباح الأمل .. ابنتي الغالية "أسيل"

إلى إخوتي وأخواتي: أحمد، أمير، مختارية ، فاطمة، هوارى، خديجة ..

إلى صداقةٍ في التّرحا والمحن ..

إلى أُنحوةٍ عقدٍ من الزمن .. أبي عبد الله أحمد صلاي، زهير هريقي ..

إلى زملائي في مرحلة الماجستير ..

إلى كلِّ الإخوة والأصدقاء ..

إليكُم جميعًا .. أهدي هذا العمل المتواضع

نور الدين ..

قائمة الرموز والاختصارات

ج	جملة	تح	تحويلية
ج ف	جملة فعلية	تو	توليدية
ج س	جملة اسمية	ج ش	جملة الشرط
م ، م إ	مسند	ج ج ش	جملة جواب الشرط
ف	الفعل	←	تؤول إلى، تعاد الكتابة ..
فا	الفاعل	⇐	تتحول إلى ..
مف	المفعول به	# ... #	حدود الجملة
م	المبتدأ	⊂	يتضمن ، يحتوي
خ	الخبر	≠	لا يساوي
س	اسم	...*	التركيب غير نحوي،
أد	أداة	↖	نفي
ظ	ظرف	؟	استفهام
ض	ضمير	√	عنصر تأكيد
مض.إ	مضاف إليه	∅	عنصر محذوف، علامة شغور
ج ج	جار ومجرور	↗	الإضافة
مص	مصدر ، مصدر مؤول	*....	العنصر يمكن أن يتكرر
مو	اسم موصول	{...}	بدائل: إمكانية اختيار عنصر واحد في المرة الواحدة

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وبعد:

إنَّ الدِّراسة التركيبية اليومَ تعتبرُ من أغزر فروع اللسانيات المعاصرة وأكثرها خصوبة؛ حيثُ تتأسس أرضية المستوى التركيبيِّ للغة على جهود الباحثين الحثيثة في مجال وصف البنية التركيبية وتحليلها، ومحاولة تفسيرها والكشف عن آلياتها الضمنية، وقوانينها العلائقية، هذا إلى جانب أنها كثيراً ما احتضنت مولد العديد من النظريات اللسانية، واستأثرت بمجال اهتمامها وميدان تطبيقها، إن على المستوى المنهجيِّ النظريِّ أو على المستوى الإجرائيِّ، كما هو الشأن بالنسبة إلى النظرية التوليدية التحويلية التي تولدت عن دراسة تركيبية خالصة.

وكانت العناية في معظم تلك الدِّراسات اللسانية تنصبُّ على المستوى الأساسيِّ للكلام، والذي يتجلى في "الجملة" باعتبارها الوحدة اللسانية الكبرى، وباعتبارها مصدراً خصباً يمدُّنا بكلِّ المعلومات شكلاً ومعنى فيما يتصل ببنية اللغة، والجملة بهذا وحدة تفكيرٍ وتحليلٍ يمكن أن تؤكِّد شدةً بنيان القواعد النحوية، ومن هنا أخذت مباحثُ الجملة نصيباً معتبراً في بحوث الدارسين؛ فحاولوا دراستها بشكل شامل، باحثين عن القواعد والضوابط التي تحكم نظامها البنائي، والتي يكونُ بها التركيب سليماً مفيداً محققاً لوظائفه الدلالية. ومع ذلك فإنَّ التيارات التداولية والوظيفية قد تجاوزت "الجملة" إلى "الخطاب"، باعتباره منجزاً تلقظياً قائماً على سلسلة من الجمل المتعاقبة، لتصبح الجملة بذلك وحدة لسانية قاعدية للخطاب.

وهكذا صار "الخطاب" محور عدد من الدِّراسات اللسانية الحديثة التي اهتمت بدراسة اللغة وتمثُّلاتها الخطابية المختلفة وتأثيرها في المجتمع، مثل: الخطاب الأدبي، والإعلامي، والديني... إلخ، ويُعتبرُ "الخطاب السياسي" واحداً من هذه الخطابات التي نالت اهتمام الدارسين، فهو يُعدُّ من أكثر الخطابات الحديثة ذيوغاً، وأقواها نفوذاً، وأشدّها تأثيراً، ويرجع ذلك إلى ارتباطه الشديد بالمجتمع، لما يعكسه من صور التفاعل بين أفراد الذين يعبرون عن أنفسهم باللغة، فليس هناك انفكاك بين الخطاب السياسي والمجتمع الذي ينشأ فيه.

والقاسم المشترك بين الجملة والخطاب والسياسة هو "اللغة"، في جوانبها: التجريدية التكوينية، والتمثُّلية الإنجازية، والمقاصدية السلطوية، فالجملة نظامٌ تكوينيٌّ محكم يختزلُ بصدق نظام اللغة المعقد ويُحيلُ إليه، والخطابُ تمثُّلٌ لذلك النظام وتنجيزٌ له على مستوى التواصل الإنسانيِّ مصحوباً بمختلف النوايا والمقاصد، والسياسة تُمثلُ أقوى تلك النوايا وأعلاها وهي السلطة، فالسياسة سلطةٌ حاضرةٌ ظاهرة تحيلُ إلى "اللغة" باعتبارها سلطة غائبة خفية، ولا تتحقَّق الأولى إلا بتحقُّق الثانية. فاللغة والسياسة قرينتان متلازمتان، إنَّه القولُ السياسيُّ فُباله الفعلُ السياسيُّ.

وفي سياق هذه العلاقة المتشابكة بين "الجملة، والخطاب، والسياسة" يأتي هذا البحث، مقارناً محاوراً الخطاب السياسيِّ في بنيته التركيبية، ووحدته القاعدية: "الجملة"، فهو يقوم على دراسة البنية التركيبية للخطاب السياسيِّ ممثلةً في "الجملة" كوحدة نووية مكوّنة لهذا الخطاب على المستوى التركيبيِّ، ودراسة الخطاب تركيبياً في هذا البحث لا تعني البحث عن نحوٍ للخطاب على غرار نحو الجملة، وإنما هي محاولةٌ لدراسة الخطابِ دراسةً تتأطرُّ في حدود "الجملة"، وتنتهي في أنموذجها العام إلى المقاربة التركيبية. وعلى وجه الخصوص إلى "المقاربة التوليدية".

وهي مقارنة أحدثت منذ بروزها منتصف القرن الفائت على يد اللساني الأمريكي نوام تشومسكي تغييراً كبيراً في مجال الدراسة اللسانية على اختلاف حقولها واهتماماتها، فكسرت شوكة البنية وحدثت من هيمنتها، ووقفت نداً للمنهج الوصفي، في محاولة منها لإعادة الاعتبار للإنسان، وللعقل الإنساني مصدرًا من مصادر التحليل اللغوي، ومن هنا انبثق إيمانها بوجود كليات لغوية، ومبادئ أساسية تشترك فيها جميع اللغات البشرية، وقد تجاوزت هذه النظرية التعامل مع الظواهر اللغوية بالوصف المحض كما الحال في الاتجاه الوصفي، إلى التفسير، بالاستناد إلى أدوات لسانية ورياضية، ومنطقية، لتظهر بذلك جملة من المقولات اللسانية الفلسفية: كالتأويل، والتعليل، والعامل... وهي مقولات مركزية في الخطاب النحوي العربي.

ولذلك منذ أن نُقلت هذه النظرية إلى اللسانيات العربية في بداية السبعينيات وجدت إقبالاً طيباً، ورواجاً كبيراً؛ لتناغمها مع الطرح التراثي إلى حد ما، وتساوقها مع النظرية اللسانية النحوية العربية في بعض المنطلقات الفكرية، مما شجّع الكثير من الباحثين والطلبة على توجيه دفة أبحاثهم نحوها، ومحاولة السير في مضمارها، من خلال استيعاب أسسها ومبادئها الرئيسية، ومن ثم إعادة صياغتها صياغة جديدة تتواءم مع طبيعة اللغة العربية وتحترم خصائصها، فاتخذت من التراث النحوي العربي أساساً تنهض عليه، لتحاول أن تُجدده وتُفعّله في إطار هذه الأسس والمبادئ المنهجية الجديدة، مما يؤكّد استقطابها للنظرية اللسانية العالمية من جهة، واستلهاها للجوهر العلمي والرصيد المعرفي للتراث العربي من جهة أخرى.

وفي هذا البحث اقتفينا أثر هؤلاء الدارسين، فحاولنا أن نستثمر الطاقات والإمكانات التركيبية في التراث اللساني العربي القديم، ثم تفعيلها ضمن أطر النظرية التوليدية التحويلية، من خلال "النموذج التحويلي المعدل" الذي قدّمه د. خليل أحمد عمارة /، في كتابه (في نحو اللغة وتراكيبها - منهج وتطبيق - : 1984)، والذي يقوم على المزاجية بين ركائز التراث اللغوي ومستجدات الدرس اللساني الحديث، في تحليل الجملة تحليلاً يجمع بين المعنى والمبنى من خلال فكرة التوليد والتحويل.

وقد سعينا أن يكون تطبيق هذا المنهج على نحوٍ يخدم اللغة العربية ويُسهّم في تطويرها، فكان اهتمامنا بتحليل البنية التركيبية للغة العربية المعاصرة المكتوبة في شكلها النثري، والتي آثرنا أن نتخب أنموذجها من آثار الشيخ المصلح محمد البشير الإبراهيمي /، ممثلةً في جملة من خطابه السياسية في "عيون البصائر".

وبهذا جاء البحث بعنوان: (البنية التركيبية للخطاب السياسي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي).

وقد كان من أسباب اختيار "الخطاب السياسي"، -إضافةً إلى ما سبق- ندرته الدراسات اللسانية في هذا المجال، والتصاعد المتزايد لأهمية هذا الخطاب، خاصةً مع التحوّلات الجيوسياسية التي حدثت وتحدثت في الدول العربية، ولعلّ في ما يُسمّى بالرّبيع العربي خير برهان على هذه النقطة النوعية في الاهتمام بالمجال السياسي عامة... وقد أخذ الخطاب السياسي أدواراً أكثر خطورة في ظلّ هذه الظروف، ورغم هذه الأهمية التي يضطلع بها الخطاب السياسي في حياتنا، نجد أنّ الاهتمام اللساني ما يزال دون المستوى المطلوب، وإذا كان النقص مسجّلاً في الدراسات اللسانية الغربية في هذا المجال، فإنّ الدراسات اللسانية العربية تكاد تخلو من مثل هذه البحوث إلا قليلاً.

وكان - كذلك - من أسباب اختيار المدونة الإبراهيمية المكانة الكبيرة لهذا العلم اللغوي الجليل، والقيمة العالية لآثاره، إضافةً إلى إعجابي الشديد بشخصيته الفذة ونضاله المستميت ضدّ الجهل والبدع والظلم، بما جعله أيقونةً

جزائرية للعالم الحق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان الحافز قوياً لمباحثة "الآثار" التي قابلها الدارسون بالإهمال، تجلّى ذلك في قلّة العناية بها من قِبَل دارسي العربية عمومًا، ودارسي اللسانيات خصوصًا، ولعلّ نظرة في فهارس الأطروحات والرّسائل الجامعية في العالم العربي تُؤيّد هذا الواقع، فلا نكادُ نَظفُرُ إلاّ بالنزر اليسير حول تراث هذا العَلم الشّامخ، وإنّهُ لقبیحُ بأبناء الجزائر أن يعقّبوا أعلامهم ويغمتوا حقوقهم بهذا الإهمال والتّجاهل، ولا يحدثوا لهم ذكرًا إلاّ في ذاكرة النّسيان، من هنا اشتدّ العزم على اقتحام هذا المعترك الصّعب، محاولةً لردّ الجميل لهذا العَلم ولو باليسير، وأداء بعض من حقوقه علينا ولو مع التّقصير.

هذا وإنّا واجدون بعض الدّراسات التي تتقاطع مع البحث في الاهتمام بالجانب اللغويّ عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، منها:

- البشير الإبراهيمي أديبًا، محمد عباس
- البشير الإبراهيمي واللغة العربية، محمد مهداوي.
- بناء الأسلوب في المقالة عند الإبراهيمي -دراسة وصفية تحليلية فنيّة-، عبد الحميد بوزوينة.
- التوليد اللغوي عند محمد البشير الإبراهيمي، سليمان لحسن.
- الصوت ودلالاته في خطاب البشير الإبراهيمي عيون البصائر -نموذجًا-، أحمد عزوز.
- أدبية الخطاب النثري عند البشير الإبراهيمي، حسين بوحسون.
- ...

ونلاحظ أنّ هذه الدّراسات قد تناولت جوانب أدبية، ومستويات صوتية ومفرداتية وأسلوبية عند الإبراهيمي، غير أنّنا لا نجد دراسةً خاصّةً بالمستوى التركيبي عند الإبراهيمي، إلاّ معالجات محتشمة ضمن بعض الدّراسات السّالفة، مما يجعل البحث في هذا المستوى أمرًا ضروريًا، خاصّةً من خلال مقارنة لسانية حديثة.

وبناءً على ما سبق بيانه يتّضح أنّنا في هذا البحث نطمحُ إلى تحقيق الأهداف التالية:

- ✓ محاولة الكشف عن البنية التركيبية للغة الخطاب السياسي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وتفسير تراكيبها تفسيرًا علميًا يهتم بالبناء الشكليّ من جهة، ومن جهة أخرى بالمعنى الدلالي.
- ✓ الكشف عن خصائص تركيبية جديدة في لغة محمد البشير الإبراهيمي بصفة خاصة، واللغة العربية المعاصرة بصفة عامة؛ بما يسمح بمقارنتها بغيرها من مستويات وأنماط اللغة العربية، خاصة القديمة منها.
- ✓ الإسهام في خدمة التراث اللغويّ والأدبيّ الجزائريّ، وبعثه وتفعيله من خلال التوظيف الإجرائيّ لطروحات لسانية معاصرة.
- ✓ رصد الخصائص والسمات التّركيبية للخطاب السياسيّ العربيّ في جانبه النضاليّ الإصلاحيّ، بما يخدم الدّراسات التّداولية والوظيفية التي تعمل على مستوى البنية التّداولية والحجاجية في تحليل هذا النمط من الخطابات.
- ✓ ضبط رؤية لسانية عربية لتحليل التراكيب العربية من خلال فكرة التوليد والتحويل، وفحصها إجرائيًا على مدونة لغويّة فعلية لاختبار مدى صدقية مقولاتها وفَعاليّة منوالاتها.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف، اقتضى البحث أن يتم فصل على مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة..
على النحو الآتي:

فالمقدمة: عرضنا فيها لحيثيات الدراسة من بيان للموضوع، وشرح لأهميته وأسباب اختياره، وشرح لخطة البحث ومنهجه الإجمالي وشيئاً من المشاكل التي اعترضت سبيله.

والمدخل: تم فيه التأسيس للمصطلحات المفتاحية للبحث، فتناولنا المصطلحات: البنية، التركيب، الخطاب، السياسة، بالتأصيل والتفصيل، من خلال الجمع بين المفاهيم التراثية والمفاهيم المعاصرة، واعتماداً على استنطاق الدلالة اللغوية والاصطلاحية، كما تمّ إلى جانب ذلك تأطير وتحديد المدونة على نحوٍ دقيق ومفصّل.

والفصل الأول: تناولنا فيه الجملة العربية، باعتبارها ركن هذه الدراسة وأسّها الذي تقوم عليه، فدرسناها مفهومًا وبنية وأنواعًا في ثلاثة مباحث، وحاولنا من خلال ذلك أن نُؤطر المساحة المعرفية ونقارنها بين التراث والدّرس الحديث.

والفصل الثاني: تطرقنا فيه لقضايا المنهج اللسانيّ من خلال ثلاثة مباحث، عرضنا في الأول النظرية التوليدية التحويلية عرضًا تاريخيًا تحليليًا من حيث نشأتها، ومفهومها، وأهدافها، وأهم مبادئها...، وفي البحث الثاني تطرقنا إلى المحاولات التوليدية العربية، وبيّنا شيئًا من أصولها المعتمدة وواقعها اللساني، ليكون المبحث الثالث خالصًا لعرض نموذج عمارة الذي اقترحه في كتابه (في نحو اللغة وتراكيبها)، فعرضنا رؤيته بتفصيل ودقّة، مع قراءة تحليلية نقدية تقويمية مركّزة، حاولنا من خلالها تقويم النموذج وتعديل بعض نقاطه تلافياً للقصور المسجّل.

والفصل الثالث: جاء حقلاً تطبيقياً إجرائياً خالصاً، درسنا فيه الجملة الإبراهيميّة دراسة لسانية تجمع بين المعنى والمبنى، ضمن فكرة التحويل والتوليد.

والخاتمة: حاولنا أن نحصل فيها بإيجاز وتركيز أهمّ النتائج والملاحظات التي تبلورت في الدراسة على مستويي التنظير والإجراء. وأردفنا البحث بقائمة للمصادر والمراجع: أثبتنا فيها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في الدراسة.

هذا، وقد اعترضتنا منذ البداية عقبات عديدة، وصعاب شديدة، تدلّل الكثير منها وانقاد بعد جهد ووقت، وبقي بعضها ماثلاً..

ولعلّ من أولى العقبات التي واجهتنا تلك المسؤولية الكبيرة التي ارتقت على كاهل البحث، إنّها مسؤولية الكتابة عن علم من أعلام الكتابة العربية، خصوصاً وأنّ الإبراهيميّ أضحى أيقونة في الفكر الجزائري والعربيّ عمومًا للكتابة المتفرّدة، والأدب الرّاقبي والأسلوب الشامخ، فكيف يُتقن هذا الميدان، وكيف تُفكّ شفرات هذه اللغة..، ومن الصّعب.. الاختلاف الكبير حول مفهوم الجملة وتحديد هويّتها التّركيبية في الدّرس اللّسانيّ الحديث؛ خاصّة على المستوى الإجماليّ، فقد كثرت التّنظيرات حول الجملة، وقلّت التّطبيقات، ممّا جعل ضبط حدودها في تقطيع النّص أمرًا بالغ الصّعوبة..، كما أنّ الجانب التّطبيقيّ كذلك قد شكّل تحديًا كبيرًا للبحث، من حيث طول المدونة وكثرة جملها وتعدّد أمطاطها وتعقيد بنيتها، والتي أخذ تحليلها وإحصاؤها وتصنيفها وقتًا ليس بالقصير، إضافةً إلى الصّعوبة التي فرضتها جدّة النموذج التحليليّ المطبّق..

وقد تنوّعت مصادر البحث ومراجعته بتنوّع القضايا والمسائل التي خاض فيها وتجاذبت أطرافها، فبين التأصيل والتنظير والتطبيق تعدّدت الوجهات وتباينت المسارات، واقتضت الحال الخوض في عديد المجالات المتباينة نوعًا ما، من

المعاجم، إلى كتب النحو التراثية، إلى كتب البلاغة، إلى كتب التاريخ، إلى كتب السياسة، إلى كتب اللسانيات الحديثة، إلى المجالات والدوريات المختلفة... كلُّ هذه شكَّلت روافد ارتوى البعث منها وحاول المزاجحة والتوأمة بين معارفها. غير أنَّ المصادر التي تعامل معها البعث بشكل كبير تمثَّلت في:

- أمهات كتب النَّحو: كالكتاب لسيبويه، والمقتضب للمبرد، والأصول لابن السراج، وكتب أبي عليِّ الفارسيِّ، والمقتصد للجرجانيِّ، وشرح المفصَّل لابن يعيش، وشرح الكافية للرضيِّ، والجنى الدَّاني للمراديِّ، والمغني لابن هشام...
- دراسات حول الجملة العربية: في نحو اللغة العربية وتراكيبها، في التحليل اللغويِّ كلاهما لخليل عمارة، وبناء الجملة العربية لمحمد حماسة، والجملة العربية (مكوناتها، أنواعها، تحليلها) لمحمد إبراهيم عبادة، ومدخل إلى دراسة الجملة العربية، لمحمود أحمد نحلة...

وبعدُ ...

فالشكر لله سبحانه وتعالى أوَّلاً وآخرًا، على إنعامه وتيسيره وتوفيقه ..
ثمَّ الشكرُ موصولٌ للأستاذة المشرفة أ.د. صفية مطهري، التي رعت هذا البحث وأمدته بسبل النجاح، وصبرت عليه صبرًا جميلًا، كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة، أساتذتي الكرام، الذين احتضنوا هذا العمل قراءةً ومناقشةً وتقويماً، وأشكرُ كلَّ من أسهم في هذا البحث من قريب أو بعيد ..

والله - سبحانه وتعالى - الموفق والمسدِّد في القول والعمل ..

هو حسبي، عليه توكلت وإليه أنيب ..

كلمة الطالب: مصطفى نورالدين

وهران يوم الاثنين 24 ربيع الثاني 1435 هـ

الموافق لـ 24 فيفري 2014 م

مدخل

عتبات البحث

مفهوم البنية التركيبية	1
مفهوم الخطاب السياسي	2
تأطير الخطاب السياسي الإبراهيمي	3

سنعرض في هذا المدخل لتحديد المفاهيم، وترسيم الحدود لمفردات البحث الاصطلاحية، وبنظرة أولى إلى العنوان الرئيس لهذا البحث: (البنية التركيبية للخطاب السياسي)، يتضح أنه قد جمع بين مصطلحات حادة التعقيد، واسعة الدلالة، كثر فيها الخلط واللبس، وسادت حول مفاهيمها الضبابية، لذلك كانت هذه الوقفة التعريفية للجهاز المفاهيمي المصطلحي واجباً يفرضه المنهج العلمي، فـ "البنية"، و"التركيب"، و"الخطاب"، و"السياسة" .. مصطلحات شائعة عامة لُقها غموض وتشويش كبير حول مدلولاتها مما جعلها في كثير من الأحيان تتجرد من الصبغة المصطلحية لتُعتبر مجرد كلمات عامة متداولة في عديد المجالات والتخصصات العلمية، الطبيعية منها والإنسانية، وهذا التَّمييع الذي رافق هذه المصطلحات المفاتيح وقف عائقاً أمام سيرورة البحث؛ لذا كان لزاماً علينا أن نُحدّد المدلولات التي نقصدُ إليها من هذه المصطلحات، ونحجّم المساحة التي نرتضي دراستها، فيكون بذلك الطريق واضحاً، والسبيل مستقيماً نندلف إلى لبّ الدراسة بخطى ثابتة، وضمن أطر محدّدة.

(1) مفهوم البنية التركيبية:

يشيع مصطلح "البنية التركيبية" كثيراً في الدّراسات اللّسانية الحديثة، خاصّةً تلك التي تُعنى بالمستوى التّركيبي، ولكن قليلة هي التي تعرّضت لتحديد مفهومه، وإن كان تحديداً لا يخلو من سطحية أحياناً، وضبابية أحياناً أخرى⁽¹⁾، ولذا كان لزاماً علينا أن نقف مع هذا المصطلح ملياً، لنحدّد المدلول الذي نقصدُ إليه في هذه الدّراسة. و"البنية التركيبية" من المصطلحات المركّبة، فهو مركّب وصفيٌّ من: "البنية، والتركيبية"، ولذا ينبغي منهجياً أن نُعرّف كلّاً منهما على حدة؛ ليكون تحديد مدلول المصطلح المركّب "البنية التركيبية" تحديداً علمياً واضحاً.

1-1) التأسيس المعرفي:

1-1-1) مفهوم البنية:

لقد شاعت كلمة "البنية" (La structure) شيوعاً كبيراً في مختلف الحقول المعرفية منذ الرّبع الثاني من القرن العشرين، وذلك باعتبارها كلمةً أساسيةً في الفكر الحديث، غير أنّها قد تضرّرت كثيراً من جرّاء هذا الشّيوع؛ «فقد استخدمت بمعانٍ كثيرة مختلفة، وأحياناً بشكل لا معنى له على الإطلاق»⁽²⁾؛ لأنّها لم تُعدّ مجرد مفهوم علميٍّ أو فلسفيٍّ محصور في حقول معرفيّة معيّنة، بل أصبحت (مؤضةً) سائدةً يجبُ الأخذُ بها، واستعمالها بحقٍّ أو بغير حقٍّ، في موضعها أو في غير موضعها⁽³⁾، حتّى إننا نجد كروبر (سنة 1948م) يقول: «ليس مفهوم البنية على الأرجح سوى تعبير نستخدمه لأنّه رائج»⁽⁴⁾، ويقول كذلك: «لا يضيف لفظ "بنية" شيئاً إلى ما في أذهاننا عندما نستعمله سوى ملاححة

1 - ولعلّ عدم تحديد المدلول العلمي لهذا المصطلح هو الاتكال على شيوعه في الدرس اللغوي الحديث، ولذا نجد بعض الدّراسات تستعمل مصطلح "البنية التركيبية" مرادفاً للمستوى التّركيبي، وأخرى تستعمله مرادفاً للجملة والتركيب اللغوي، دون أدنى إشارة إلى ذلك.

2 - البنيوية وما بعدها (من ليفي شتراوس إلى دريدا)، جون ستروك، تر: محمد عصفور، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ط/1996م، ص: 58.

3 - ينظر: مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، دار مصر للطباعة - مصر، دط/دت، ص: 7-8.

4 - الأنثروبولوجيا البنيوية، كلود ليفي شتراوس، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، دط/1977م، ص: 326.

لطيفة»⁽¹⁾، وأمام هذه الميوعة الدلالية لهذه الكلمة يكون ضبطاً وتحديداً المدلول اللغوي والاصطلاحى أمراً مُلِحاً، ومطلباً منهجياً.

1-1-1-1 الدلالة اللغوية:

البنية على وزن فعلة- بكسر الفاء وضمها- مشتقة من الفعل الثلاثي "بني"، يقول ابن فارس: «البناء والتون والياء أصل واحد، وهو بناء الشيء بضم بعضه إلى بعض، تقول: بنيت البناءَ أبنيه»⁽²⁾، ويقول الجوهري: «يقال: بنية وبني، وبنية وبني - بكسر البناء - مقصور، مثل حزية وجزى. وفلان صحيح البنية، أي الفطرة»⁽³⁾، وفي القاموس: «والبنية - بالضم والكسر - ما بنيت، ج: البنى - بالكسر -، والبني - بالضم -»⁽⁴⁾، وفي التهذيب: «كأن البنية: الهيئة التي تُبنى عليها مثل المشية والرُكبة»⁽⁵⁾.

فالبنية كما يتضح تنطوي في المعنى اللغوي العربي على دلالة معمارية تدور حول البناء والتشييد والضم، فهي تدل على الشيء المبني، كما تدل على هيئته وشكله. والملاحظ أن هذه الهيئة كما تكون شكلية محسوسة، فإنها قد تكون معنوية، ومن هنا نجد معنى "الفطرة" والتي هي هيئة معنوية يفطر عليها المولود.

ولو رجعنا إلى الاستعمال اللغوي لهذه الكلمة خارج المعاجم لوجدناها تطالعا مبكراً في الدرس اللغوي العربي، على عكس ما جزم به صلاح فضل، فنجد عند الخليل (175هـ) قوله: «لا يكون رفعا في بنية»⁽⁶⁾، أي في كلمة، فهي هنا تطابق مصطلح "الكلمة"، ومنه بنية الكلمة أي: هيئتها التركيبية التي انبت عليها. وقد بقي هذا الاستعمال راسخاً في الدرس اللغوي - خاصة في علم الصرف - ومستعملاً إلى اليوم. وعلى هذا المعنى تأسست ثنائية المبنى والمعنى في التراث العربي؛ ليكون المبنى هو الهيئة الخارجية للتركيب.

وقد وردت هذه الكلمة عند الجاحظ (255هـ) غير ما مرّة في سياقات مختلفة، وغالباً ما يقصد بها الفطرة والطبائع الجبلية، كقوله: «بنية الطبائع وتركيب النفوس»⁽⁷⁾، وقوله: «ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية»⁽⁸⁾، أي الفطرة، وهو معنى نصت عليه المعاجم كما مر.

ويتطرق أبو هلال العسكري (395هـ) إلى التفريق بين "البنية والتأليف"؛ حيث ذكر «أن البنية من التأليف يجري في استعمال المتكلمين على ما كان حيواناً، يقولون: القتلُ نقضُ البنية، والتأليف عندهم عام، وأهل اللغة يُجرونها على البناء، يقولون: بنية وبنية، وقال بعضهم: بني بنية من البناء وبنية من المجد»⁽⁹⁾.

1 - المرجع السابق، الصفحة نفسها.

2 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط/1399هـ-1979م، مادة (بني).

3 - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت، ط/1407/4هـ-1987م، مادة: (بني): 2286/6.

4 - القاموس المحيط، مجد الدين الفيروز آبادي، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط/1426/8هـ-2005م، مادة (بني).

5 - تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/1، 2001م، مادة (بني).

6 - الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص: 243.

7 - الرسائل الأدبية، أبو عثمان الجاحظ، دار الهلال-بيروت، ط/1423/2هـ، ص: 229.

8 - الرسائل، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي-القاهرة، ط/1384هـ-1964م، 319/4. وينظر: 42/4، 43، 57.

9 - الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع-القاهرة، ط/د، ص: 145.

وبهذا تبين أن كلمة "البنية" ليست جديدة على الثقافة العربية، ولا عن الدرس اللغوي العربي، فهي كمصطلح علمي قد استعملت عند الأدباء واللغويين منذ القرون الأولى للنهضة العلمية العربية، كما استعملت عند المتكلمين كذلك، وهي تطلق عندهم إزاء مدلولين اثنين، الأول: هو الشكل والهيئة الجسمانية المحسوسة⁽¹⁾، والمدلول الثاني يمكن استجلاؤه من خلال السياق الذي يرد فيه، وهو الهيئة المعنوية التي يخلق عليها البشر مفهوم الفطرة⁽²⁾.

وبهذا تكون كلمة "البنية" قد دخلت الجهاز المصطلحي لبعض العلوم، وأضحت مصطلحاً علمياً له مفهوم محدد فيها، ويبدو أن استعمالها قد تطور شيئاً ما، فأضحت تطلق على التركيب والبناء الكلي، كما نجد ذلك عند قدامة ابن جعفر (337هـ)؛ حيث يستعمل "بنية الشعر"، في قوله: «بنية الشعر إنما هو التسجيع والتقفية»⁽³⁾. وفي قوله: «فبنية هذا الشعر على أن ألفاظه، مع قصرها، قد أشير بها إلى معان طوال»⁽⁴⁾، وفي قوله: «التخليع: وهو أن يكون قبيح الوزن قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية للشعر كله، حتى ميله إلى الانكسار»⁽⁵⁾. والذي يبدو من خلال هذه النصوص أن معنى "بنية الشعر" هو البناء والتركيب، أي بناء الشعر وتركيبه.

ويعبر ابن سنان الخفاجي (466هـ) بـ "بنية الكلام"، في قوله: «وكان أبو الحسن... يسمي بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف: القصر»⁽⁶⁾. أي: بناء وتركيب الكلام؛ فهو يقصد إلى عملية التركيب في الكلام وتشكيله على هيئة معينة.

ونجد الجرجاني (471هـ) هو الآخر يصطنع هذا المصطلح "بنية الكلام" للدلالة على التركيب اللغوي، ونسوق نص كلامه حتى يتضح السياق، يقول: «فإن غمض مكان الكاف وكأن، بأن يوصف الاسم الذي فيه التشبيه بصفة لا تكون في ذلك الجنس، وأمر خاص غريب، فقيل: هو بحر من البلاغة، وهو بدر يسكن الأرض، وهو شمس لا تغيب، وكقوله:

شمس تآلق والفراق غروبها
عنا، وبدر والصُدود كسوفه

فهو أقرب إلى أن نسميه استعارة، لأنه قد غمض تقدير حرف التشبيه فيه؛ إذ لا تصل إلى الكاف حتى تبطل بنية الكلام وتبدل صورته فتقول: هو كالشمس المتألفة، إلا أن فراقها هو الغروب، وكالبدر إلا أن صدوده الكسوف»⁽⁷⁾. ويبدو من تفحص هذا النص ضمن السياق التحليلي الوارد فيه، أن مفهوم مصطلح بنية الكلام يقترب من مفهوم مصطلح "التركيب" في الدرس الحديث؛ ذلك أن الجرجاني يفرق بين "تركيبين" أحدهما مشتق من الآخر ومحول عنه، واعتبر أن هذا التحويل يمس البنية ويغيرها، ولتعميق الفكرة نستعين بالشكل التالي:

1 - ينظر: الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط2/1419هـ-1998م، 241/1.

2 - ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، محمد بن إبراهيم ابن الوزير، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط3/1415هـ-

1994م، 106/6.

3 - نقد الشعر، قدامة بن جعفر، مطبعة الجوائب - قسطنطينية، ط1/1302هـ. ص: 17.

4 - المرجع السابق. ص: 56.

5 - المرجع السابق. ص: 68.

6 - سر الفصاحة بن سنان الخفاجي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1/1402هـ-1982م. ص: 211.

7 - أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، دط/د. ص: 329.

البيت الشعري	التحويل	مثال الجرجاني
هو شمسٌ تألَّقُ	تقديرُ الكاف ←	هو كالشمس المتألِّقة
م + خ + قيد (ج ف تو)	إبطال وتبديل البنية ←	م + خ (ج ج) + قيد (س)
بنيةُ الكلام (1)		بنيةُ الكلام (2)
(استعارة)		(تشبيه)

إنَّ بنية الكلام (1) يُمكنُ تشرُّحُها نُحوياً على المنوال الآتي: جملة اسمية خبرها اسم مفرد، مقيِّدٌ بجملة فعلية (جملة النَّعت). وبالتغيير الذي أحدثه الجرجاني استحالت البنية (1) إلى البنية (2)، وتشرحها النحوي على النحو الآتي: جملة اسمية خبرها شبه جملة (جار ومجرور)، والمجرور مقيِّدٌ باسم مفرد (النتع اسم مفرد)، وبالتالي نلاحظُ أنَّ الجملتين قد اختلفتا في بنية المسند (الخبر ومتعلقاته)، فتحوَّل من: (مفرد + جملة) في (1) إلى: (شبه جملة + مفرد) في (2)، ممَّا أنتج تركيبين مختلفين، وبالتالي دلالتين مختلفتين، (الاستعارة التشبيه)، وهو ما كان يُحاول الجرجاني تقريره.

وقد عبَّر الجرجاني عن التغيُّر الذي حدث في التركيب الأول بأنَّه إبطالٌ لبنية الكلام «حتى تُبطل بنيةُ الكلام وتُبدل صورته»؛ أي: من التركيب (1): (م + خ + جملة النعت) إلى التركيب (2): (م + خ (شبه جملة + نعت)).

و بهذا نخلص إلى أنَّ مفهوم "بنية الكلام" يُطابق مفهوم التركيب - بالمفهوم الحديث - مطابقةً واضحةً بينةً، وعليه فإنَّه يمكن اعتبار البنية - كما وردت عند الجرجاني - مفهوماً تركيبياً ينظرُ إلى الكلِّ باعتبار منوال تركيبه والعلاقات التي تُشكِّل نظمه، وتحكُّم بناءه، بحيثُ إذا حدث أيُّ تغيُّرٍ داخل هذه البنية استتبعه تغيُّر في كامل البنية. وتأسيساً على ما سبق نجدُ أنَّ مدلول كلمة "البنية" قد أخذ منحىً تركيبياً متطوراً (كما مرَّ مع قدامة، وابن سنان والجرجاني)، وإن كانت تلك الإشارات والإمحاءات التركيبية للكلمة لم تنتشر وبقيت محتشمة نادرة الاستعمال، وتمخَّضت كلمة "البنية" بشكل ملحوظ للدلالة على الكلمة المفردة، وتواتر استخدامها في الدرس الصرفي على وجه الخصوص.

ومهما يكن من شيء فإنَّ معنى الكلمة جاء واضحاً محدداً اكتسى طابعاً شكلياً هيكلياً، دخل الجهاز المصطلحيُّ باكراً لحقول معرفية مختلفة (الصرف، النحو، علم الكلام...)، ولعلَّ الذي يلاحظُ أنَّ دلالة الكلمة لم تتطور كثيراً، بل بقيت ثابتة كما وردت في المعاجم، عدداً تلك الإمحاءات التركيبية التي رصدناها، وعدداً ذلك الخفوت في استعمال البنية بمعنى "الفطرة"، وهو استعمالٌ يكادُ يكونُ منعدماً في العربية المعاصرة في حدود اطلاعنا.

ويصطنعُ الباحثون عادةً مصطلح "البنية" مقابلاً للمصطلح الغربيِّ (Structure)، على أنَّ ترجمات هذا المصطلح إلى العربية قد كثرت وتنوعت إلى حدِّ أضرَّ بالمفهوم، وسبَّب خلطاً وتشويشاً كبيرين في الساحة العربية⁽¹⁾، ولعلَّ مصطلح "البنية" هو الأكثر انتشاراً ومقبوليةً في الدرس اللساني العربي الحديث.

وإذا عدنا إلى المصطلح في أصوله الغربية، فإننا نجدُ أنَّ كلمة (Structure) - الفرنسية - تعود إلى (Structura) اللاتينية، وهي من الفعل (Struere) والذي يعني: يبنى أو يشيِّد، في استعمالها الأولى من ق 15م، وكانت كلمة

1 - وقد رصد جميع هذه الترجمات وناقشها الباحث يوسف وغلبيسي في مقال بعنوان: البنية والبنوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية، نشر على

موقع جامعة قسنطينة: <http://www.umc.edu.dz/vf/images/revue-langue/>

(Structure) بشكل رئيس اسم عملية البناء (فعل البناء)، ثم تطوّرت في ق17م في الجاهين رئيسين: (1) نحو الناتج الكامل للتشديد، (2) نحو طريقة البناء مطلقاً⁽¹⁾.

ويشير ريموند وليامز إلى أنّ معظم التطورات الحديثة لهذه الكلمة قد انحدرت من المعنى (2)، بما في ذلك الدلالة الاصطلاحية الحديثة والتي نخصت بشكل عام على أساس أنّ العلاقة المتبادلة بين العناصر أو الأجزاء المكونة للوحدة هي التي تُحدد طبيعتها⁽²⁾.

ومما سبق يتضح أنّ المعاني اللغوية التي حملتها الكلمة في أصلها الغربي لا تختلف كثيراً عن تلك التي رأيناها من قبل في التراث العربي. وإن كانت في البيئة الغربية أكثر انتشاراً واستعمالاً وغنى منها في البيئة العربية.

1-1-1-2 الدلالة الاصطلاحية:

تشكل المفهوم الحديث للبنية (La structure) في حضن المنهج البنيوي، والذي رسم خطوطه الأولى فاردينان دي سوسير (F. De Saussure) في محاضراته المنشورة بعد وفاته سنة 1916م، وعلى الرغم من أنّ هذا المصطلح يُعتبر المقولة الأساس التي تنهض عليها البنيوية؛ فإنّ دي سوسير لم يستعمله بمفهومه البنيوي⁽³⁾، ولكنّه تحدّث عن مضمونه وأرسي معالمة تحت مسمى كلمة "النظام (Système)"، ليتأجل الظهور الفعلي لمصطلح "البنية" بمفهومه البنيوي الحديث إلى سنة 1929م؛ غداة انعقاد المؤتمر الأوّل للغويين "السلاف" في براغ (Prague)؛ حيثُ أصدرُوا بياناً «استخدموا فيه كلمة "بنية" بالمعنى المستعمل اليوم، ودَعَوْا فيه إلى اصطناع المنهج البنيوي، بوصفه منهجاً علمياً صالحاً لاكتشاف قوانين بنية النظم اللغوية وتطورها»⁽⁴⁾.

وهكذا ظهر هذا المصطلح ليعلن عن ثورة علمية كبيرة اجتاحت كلّ الفلسفات والمناهج، وأزاحت مفاهيمها عن الريادة، فأخذ ينتشر ويمتد لتتلقفه حقول معرفية شتى، شهد فيها تطورات مهمة على المستوى المفهومي، خاصّة مع أعمال لوي ألتوسير (L. Althusser)، وجاك لاكان (J. Lacan)، وميشال فوكو (M. Foucault)، ورولان بارت (R. Barthes)، وكلود ليفي شتراوس (C. Lévi-Strauss) في أعماله الأونثروبولوجية.

وكثيراً ما يخلط البعض بين "البنية" و"البنيوية" باعتبار تداخلهما؛ من حيث إنّ البنيوية كمنهج تقوم في أساسها على مفهوم "البنية"، ولا يتصور الحديث عنها دون الخوض في مضمون هذا المصطلح، والواقع أنّ هذا المصطلح لم يعد حكراً على البنيوية، بل تسرّب منها إلى مناهج ومذاهب أخرى أضحت تستخدمه - بدون حرج -، حتّى تلك التي

1 - ينظر: الكلمات المفتاحية، ريموند وليامز، تر: نعيان عثمان، المركز الثقافي المغربي - الدار البيضاء، ط1/2007م، ص:300. مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص:

2 - ينظر: الكلمات المفتاحية، ريموند وليامز، ص: 300 وما بعدها.

3 - يعتقد كثير من الباحثين أنّ دي سوسير لم يستعمل كلمة البنية (structure) في محاضراته ولا أشار إليها، والواقع بخلاف ذلك؛ إذ نجد في "المحاضرات" مصطلحي: البنية (Structure)، والبناء (Construction)، غير أنّه لم يقصد بهما إلى النسق وإنما اصطنعهما في سياق صرّي مورفولوجي؛ حيث يقول:

«On Emploie Souvent les Termes de Construction et de Structure à Propos de la Formation des mot...». Voir: Cours de Linguistique Générale, F. De Saussure, Editions TALANTIKIT Bejaïa, 2002. P.213 .

4 - مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 44، وينظر: اللسانيات (المجال والوظيفة والمنهج)، محمد شريف استيتية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع - إربد،

قامت على أنقاض البنية ومناهضة فكرها، كما هو الحال في "توليدية تشومسكي"⁽¹⁾؛ والتي اصطنعت من مصطلح "البنية" بعض مقولاتها الأساسية: "البنية العميقة - البنية السطحية"⁽²⁾.

ولعلّ هذا الانفتاح الذي أضحي سمة من سمات مصطلح "البنية" قد ساهم في إنتاج عدّة مفاهيم له، ممّا يجعل تحديد مفهوم واحد للبنية، متفق عليه أمراً شبه مستحيل إن لم يكن كذلك، ولذا نجد جان بياجيه (jean Piaget) يقرُّ بأنَّ إعطاء تعريف موحد للبنية أمر صعب، مرهون بالتمييز بين الفكرة المثالية الإيجابية التي تُغطّي مفهوم البنية والمقاربات المتعدّدة التي أطرت هذا المفهوم في حقول معرفية مختلفة⁽³⁾؛ وهو الأمر الذي يُشير إليه صلاح فضل؛ إذ يرصدُ ثلاث خصائص لهذا المصطلح: (تعدد المعنى، والتوقف في السياق، والمرونة)⁽⁴⁾، وهي تشكّل عقبات حقيقية أمام الباحثين في سبيل وضع تصور دقيق حول البنية.

ومن هنا فالتعريف الأدق للبنية لا ينبغي أن يركّز على الجانب السلبي الخلافي، بأن ينطلق في تحديدها من رصد التعارضات بين الرؤى والطروحات التي أثيرت في مختلف الحقول المعرفية، بل ينبغي أن تكون المميّزات الإيجابية المشتركة أو السمات العامة للبنية هي منطلقاته دون الخوض في أتون الخلافات والفروقات.

وعلى هذا الأساس حاول بياجيه أن يقدم تعريفاً للبنية على أنّها: «مجموعة تحويلات تحتوي على قوانين كمجموعة (تقابل خصائص العناصر) تبقى أو تغتني بلعبة التحويلات نفسها، دون أن تتعدّى حدودها أو أن تستعين بعناصر خارجية، وبكلمة موجزة تتألف البنية من ميزات ثلاث: الجملة، والتحويلات، والضبط الداتي»⁽⁵⁾.

فبياجيه يُقدّم لنا تعريفاً للبنية باعتبارها نسقاً من التحويلات له قوانينه الخاصة التي تحكمه، وهذا النسق يتّسم بالكليّة؛ أي: استقلالية من جهة أنّه لا يتكوّن إلا من عناصرٍ داخلية، وشمولية من جهة خضوع هذه العناصر التي تحكم العلاقات القائمة بينها والتي تُميّز هذا النسق باعتباره كلاً. كما يتّسم بالتحويلات؛ أي: سلسلة من التغيرات الباطنة تحدث داخل النسق بفعل قوانين البنية الداخليّة، ولا علاقة لها بمؤثرات خارجية، وهنا تتدخل السمة الثالثة (التنظيم الداتي)، والتي تُمكن البنية من تنظيم نفسها كي تُحافظ على وحدتها؛ أي: إنّ التحويلات تلك لا تعدو حدود البنية، كما تمكّنها من الاستمرارية بأن تولّد دائماً عناصر تنتمي إلى البنية نفسها⁽⁶⁾.

ونجد عند شتراوس تعريفاً أقرب إلى السابق يؤكّد فيه على الطابع النسقي للبنية؛ حيث يقول: «تتّسم البنية بطابع المنظومة، فهي تتألف من عناصر يستتبع تغيير أحدها تغيير العناصر الأخرى كلّها»⁽⁷⁾. كما يؤكّد شتراوس على الطابع التجريدي للبنية باعتبارها نظاماً آلياً لا شعورياً، يكمن من خلف العلاقات المُدرّكة المحسوسة⁽⁸⁾. أي إنّ «مفهوم البنية

1 - ينظر: دراسات لسانية تطبيقية، مازن الوعر، دار طلاس-دمشق، ط1/1989م، ص: 32.

2 - غير أننا نقرُّ بأنّه للوقوف على الدلالة العلمية الدقيقة لهذه الكلمة ينبغي أن يكون ذلك في إطار البنية، خاصة عند أعلامها الذين طوّروها وأثروا درسها.

3 - ينظر: البنية، جان بياجيه، تر: عارف منيمنة، وبشير أوبري، منشورات عويدات - بيروت، ط1985/4م، ص: 7.

4 - نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، ص: 121-122.

5 - البنية، جان بياجيه، ص: 8، وينظر: مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 30 وما بعدها. ويذكر ب. مارتن (B. Martin) أنّ هذا التعريف استعمل بشكل

واسع من قبل البنويين، ينظر:

Dictionary of Semiotics, Bronwen Martin & Felizitas Ringham, CASSELL London & New York, First published 2000. p.126

6 - ينظر: البنية، جان بياجيه، ص: 9-13، ومشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 30-31.

7 - الأثرولوجيا البنوية، شتراوس، ص: 328.

8 - ينظر: مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 33.

لا يستند إلى الواقع التجريبي، بل إلى التّماذج الموضوعية بمقتضى هذا الواقع»⁽¹⁾، و من هنا فالاستخدام العلمي لهذه الكلمة إنما هو وصف للنماذج لا للواقع المباشر.

ويؤكّد زكريا إبراهيم على التقارب الكبير بين التعريفين السابقين، فهما «يُجمَعان على القول بأنّ (البنية) هي القانون الذي يحكم تكوّن المجاميع الكلّية من جهة، ومعقولة تلك المجاميع من جهة أخرى»⁽²⁾.

ويرى لوسيان أنّ مفهوم البنية في أوسع معانيه يشير إلى: «نظام من علاقاتٍ داخليةٍ ثابتة، يُحدد السماتِ الجوهرية لأيّ كيان، ويشكّل كلاً متكاملًا لا يمكن اختزاله إلى مجردٍ حاصلٍ مجموع عناصره، وبكلماتٍ أخرى يشير إلى نظامٍ يحكم هذه العناصر فيما يتعلق بكيفية وجودها وقوانين تطوّرها»⁽³⁾.

وهي عند جيرالد برنس (Gerald Prince) «شبكة العلاقات التي تتولّد من العناصر المختلفة للكلّ، بالإضافة إلى علاقة كلّ عنصر بالكلّ»⁽⁴⁾.

وعرّفها أنطوني ويلدن (Anthony Wilden) بأنّها: «مجموعة من القوانين التي تحكم سلوك النظام، وإنّ هذه القوانين تتحكّم في العناصر أو المكونات التي يمكن أن تحلّ محلّ بعضها البعض»⁽⁵⁾. وبعضهم اعتبرها: «مجموعة من العلاقات الثابتة بين عناصر متغايرة يمكن أن ينشأ على منوالها عدد لا حصر له من النماذج»⁽⁶⁾. وهذا يرتدّ إلى تعريف شتراوس الأثروبولوجي.

ويمكن اعتبار تعريف أندريه لالاند (André Lalande) الذي قدّمه في موسوعته الفلسفية جامعاً لكلّ ما سبق؛ لكونه يصدق على جميع البنيات، حيث يقول: بأنّ البنية هي «كلّ متكوّن من ظواهر متضامّة بحيث إنّ كلّاً منها يتوقّف على الأخرى، ولا يمكنه أن يكون ما هو عليه إلّا في علاقته معها وبهذه العلاقة»⁽⁷⁾.

وإذا أمعنا النظر في هذه الجملة من التعاريف نجدها لا تختلف عن تعريف بياجيه وشتراوس إلّا اختلافات سطحية نتجت عن تعدّد واختلاف الخلفيات المعرفية التي تأطرت ضمنها هذه التعاريف، وإلّا فكلّها تؤكّد على السمات الثلاث: الكلّية، والتّحوّلات، والتنظيم الذاتي، إضافةً إلى الطّابع التّسقي (العلاقات) والتّجريدّي (مقولة المجاميع الكلّية).

كما أنّنا إذا أمعنا النظر في هذه السمات لتبيّن أنه يمكن ردها إلى أمرين: الأوّل: استقلالية البنية عن أيّة ملابسات أو ظروف خارجيّة، واكتفائها بذاتها، وهو ما يُعرّف بـ (انغلاق البنية)، والأمر الثاني: هو العلاقات التي تحكم العناصر وتشابكها وترابطها داخليًا. أمّا استقلالية البنية فأمر شهد خلفًا كبيرًا حتّى بين البنيويين أنفسهم⁽⁸⁾، والذي يظهر أنّه ليس استقلالاً مطلقاً؛ لأنّه مهما كانت درجة الانغلاق التي تفرضها طبيعة العلاقات بين عناصر

1 - الأثروبولوجيا البنيوية، شتراوس، ص: 327.

2 - مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 33.

3 - علم الشعريات (قراءة مونتاجية في أدبية الأدب)، عز الدين المناصرة، دار مجلاوي- عمان، ط1/2007م، ص 542.

4 - المصطلح السردي (معجم المصطلحات)، جيرالد برنس، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط1/2003م. ص: 224.

5 - المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم إنجليزي-عربي)، محمد عناني، الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجمان- مصر، ط3/2003م. ص: 104.

6 - البنيوية بين العلم والفلسفة عند ميشيل فوكو، عبد الوهاب جعفر، دار المعارف- القاهرة، ط/1989م. ص: 2.

7 - موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات- بيروت- باريس، ط2/2001م. 1341/3، وينظر: مشكلة البنية، إبراهيم زكريا، ص: 98. ونظرية البنائية، صلاح فضل، ص: 121.

8 - ينظر: التفكير اللغوي بين القدم والجديد، كمال بشر، دار غريب- القاهرة، ط/2005م. ص: 241.

التسق (البنية)، فإنَّ البنية لا تفتأ تتأثر بما جاورها من بنياتٍ أخرى، ويتعزَّزُ هذا الرَّأيُ إذا نظرنا إلى تلك البنيات التي اختلفت جرءاً تصادمها مع بنياتٍ أخرى والأمثلة في اللغة والتاريخ تشهدُ بذلك، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّ القول بالاستقلال الكلي للبنية لا نجدُ لها مدخلاً في الفكر الإسلاميِّ التوحيديِّ بحال من الأحوال، ذلك أنَّ هذه الفكرة قد تآطرت ضمن إيديولوجية الإلحاد.

وإذا تجاوزنا سمات البنية نجدُ بعضاً من التعريفات السابقة قد ألمح إلى مقولة "العلاقة" ومحوريتها في مفهوم البنية، ذلك أنَّ: «المقولة الأساسية في المنظور البنيوي ليست هي مقولة الكينونة؛ بل مقولة العلاقة، والأطروحة المركزية للبنيوية هي توكيد أسبقية العلاقة على الكينوية، وأولوية الكل على الأجزاء، فالعنصر لا معنى له ولا قوام إلا بعقدة العلاقات المكوِّنة له»⁽¹⁾.

وهذا يعني الابتعاد عن المفاضلة التقليدية بين الجزء والكل، أو النظر إلى أحدهما بمعزل عن الآخر، لأنَّ الأهم من ذلك هو "العلاقة" التي تسود بين الأجزاء وتحدد النظام الذي تتبعه الأجزاء في ترابطها والقوانين التي تنتج عن هذه العلاقة وتسهم في بنيتها في الوقت نفسه، فكلُّ بنية هي لا محالة مجموعة علاقات تتبع نظاماً معيناً مخصوصاً. وممَّا سبق جميعاً نخلص إلى أنَّ البنية: تصوُّرٌ عقلي أقرب إلى التجريد منه إلى التَّحديد، فالبنية ما نعقله من علاقات الأشياء لا الأشياء ذاتها. وبالتالي فهي قانونٌ كُليٌّ يفسِّر تكوين الأشياء ومعقوليتها؛ فهي تُساعدنا على اكتناه الأشياء والظواهر؛ إذ البحث عن بنية الشيء هو البحث عن العناصر التي يتركَّبُ منها وعن المقياس الذي رُكِّبت هذه العناصر على أساسه، وعن العلاقة التي تربط بينها.

1-1-2 مفهوم التركيب والتركيبية :

حاولت بعض الدراسات اللسانية العربية الحديثة في إطار تحديث أطرها المعرفية أن تُقدِّم مصطلح "التركيب" كبديل لمصطلحي "الجملة والكلام"، لِمَا له من علاقة مباشرة بالمستوى التركيبي، غير أنَّ تأصل "الجملة" في الأدبيات اللسانية التقليدية قد جعل من كلِّ بديلٍ جديدٍ مجرد مرادفٍ لا يرقى في قوته المصطلحية إلى مستواها. من هنا نجد أن مصطلح "التركيب" لم يتبوأ مكاناً ضمن الخطاب اللساني العربي إلا على الضفاف والهوامش، رغم الجهود التي بُذلت في سبيل تمكينه لذلك، ففي الدرس العربي الحديث مثلاً، لا تزال السطوة والحظوة للجملة مصطلحاً مركزياً، ولا نجد التركيب إلا ضمن الأدوات الوصفية في أطرٍ محدودة قد لا تتجاوز الخطاب التحليلي، وحتى إن استعمله البعض بديلاً للجملة، فإنَّه استعمال يبقى فردانياً محتشماً لا يرقى - عملياً - إلى مستوى الاصطلاح الفعلي. ولعلَّ ما زاد في التشكيك من عدم فاعلية هذا المصطلح لحمل مفهوم مركزيٍّ في التَّحليل اللساني - على الأقلِّ عربيّاً - هو اصطناع البعض له مقابلاً لمصطلحات تحمل مفاهيمٍ أخرى، كمصطلح "Structure" الذي تُرجم إلى "التركيب والتركيبية"⁽²⁾، ولهذا فإنَّ المتبع لمصطلح "التركيب" ليصطدم بتباين كبير في استعماله، وتعدُّد في مفاهيمه، واختلافٍ في السياقات التي يرد فيها، إن قديماً أو حديثاً، ومردُّ ذلك إلى كونه لم ينضبط بعدُ مصطلحاً مؤسساً في

1 - البنيوية - فلسفة موت الإنسان -، روجيه غارودي، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت، ط3/1985م، ص: 15. وينظر:

A Dictionary of Linguistics and Phonetics, David Crystal, Blackwell Publishing, 6th Edition 2008. PP.457-458.

2 - ينظر: أسس علم اللغة، ماريو باي، تر: أحمد مختار عمر، عالم الكتب - القاهرة، ط1419/8هـ - 1998م، ص: 52. وينظر: المصطلحات الأدبية الحديثة،

محمد عناني، ص: 104.

أدبيات الخطاب اللساني العربي الحديث، وهذا ما حثم علينا وقفة تأصيلية سريعة مع هذا المصطلح -رصدًا وتحليلًا-، انطلاقًا من مدخرات التراث إلى منجزات الدرس الحديث.

1-1-2-1 الدلالة اللغوية:

التَّرْكيب: مصدرٌ (رَكَّبَ) وهو فعلٌ مضعَّفٌ من الثلاثي (رَكَبَ)، وجذره «الرَّاء والكاف والباء أصلٌ واحدٌ مطرِدٌ مُنْقَاسٌ، وهو علُوُّ شيءٍ شيئاً»⁽¹⁾، تقول: «رَكَّبَ الشيءَ: وضعَ بعضه على بعض، وقد تَرَكَّبَ وتراكَّبَ»⁽²⁾، «فهو مُرَكَّبٌ وركيبٌ، والمركَّبُ -أيضاً-: الأصلُ والمنبَتُ»⁽³⁾، وفي الجمهرة: «كلُّ شيءٍ أثبتَّه في شيءٍ فقد رَكَّبْتَه»⁽⁴⁾.

نلاحظ أنَّ معاني هذه الكلمة "التَّرْكيب" تدور حول الجمع والضمُّ بطريقة تراكمية لا تستلزم بالضرورة نوعاً من الانتظام أو التنظيم، إلَّا أنَّ هذه الدلالة قد تطوَّرت نوعاً ما بعد دخولها مجال الدِّراسة اللُّغوية، فأصبح تَرْكيبُ الشيء في غيره هو: «ضمُّ أجزائه المتفرِّقة وربط بعضها ببعض للحصول على وحدة متكاملة»⁽⁵⁾، فتطوَّرت الدلالة من مجرد الجمع إلى الضمِّ والرِّبط المحكم الذي يسعى إلى وحدة متكاملة، بل ونجد أنَّ دلالة هذه الكلمة -في الاستعمال اللغوي العام- قد اتَّسعت في هذا المعنى لتشمل حتى تَرْكيب الجملة نحويًّا، كما في معجم اللغة العربية المعاصرة: «رَكَّبَ الجملة: أَلَفَ بين أجزائها»⁽⁶⁾، وهذا التطور الملحوظ في دلالة هذه الكلمة "التَّرْكيب" من مجرد الجمع والتَّرْكيب إلى الضمِّ والرِّبط المحكم راجع إلى دخول هذه الكلمة إلى الدرس اللغوي كما أسلفنا القول، فمنه اكتسبت هذه الدلالة الجديدة.

وأما كلمة: (التَّرْكيبية) فمعناها يتحدَّدُ بالسِّياق الذي تردُّ فيه، وذلك أنَّها يمكن أن تكون مصدرًا صناعيًا⁽⁷⁾ إذا دلَّت على مجموع الصِّفات والخصائص الخاصَّة بالتَّرْكيب والمنسوبة إليه، كأن تقول: «يميل إلى التَّرْكيبية في أسلوبه»⁽⁸⁾؛ أي يتَّسم أسلوبه بصفات وخصائص منسوبة إلى «التَّرْكيب - مصدر-» والتي هي في مجملها ضدُّ البساطة. فهو يعتمد على التراكيب الطويلة المعقدة، ويلجأ إلى التشبيهات المركبة والاستعارات البعيدة... ونحو ذلك.

كما يمكن أن تردَّ مجرد اسمٍ مؤنَّث منسوبٍ إلى: "التَّرْكيب"، إذا لم يُقصد بها ما سبق، وإنما قُصد بها وصف كلمةٍ أخرى بالتَّرْكيب فحسب، كما نقول: "مستوى تَرْكيبِيٌّ، وبنية تَرْكيبيةٌ، وطريقة تَرْكيبيةٌ"، فتَرْكيبِيٌّ وتَرْكيبيةٌ صفتان لما قبلهما، وهما اسمان منسوبان إلى التَّرْكيب، وواضح أنَّ معنى التَّرْكيب هنا يتحدَّد من طبيعة الموصوف، والحيز المعرفي الذي يرد فيه، فعندما نقول: المستوى التَرْكيبِي، فهو يستلزم بالضرورة مستوى أقل منه هو الإفرادي... وكذلك البنية التَرْكيبية، أي

1 - معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس، مادة: (ركب) 432/2.

2 - المحكم والمحيط الأعظم، بن سيده الأندلسي، تح: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط1/1421 هـ - 2000 م. مادة: (ركب)، 15/7.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر- بيروت، ط3/1414 هـ، مادة: (ركب) 432/1.

3 - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري، مادة: (ركب) 139/1.

4 - جهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987 م، مادة: (ركب) 326/1.

5 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر (بمساعدة فريق عمل)، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م، 932/2. وينظر: المعجم

الوسيط، مجمع اللغة العربية بمصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425 هـ-2004 م، 368/1.

6 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، 932/2.

7 - المصدر الصناعي: «هو كل لفظ جامد أو مشتق، اسم أو غيره، زيد في آخره ياء مشددة بعدها تاء تأنيث مربوطة، تسمى: تاء الفعل، تمحض اللفظ للمعنى

المصدري؛ ليدل على معنى هو: مجموعة الصفات والخصائص والأحوال الخاصة بذلك اللفظ الذي لحقته الياء والتاء؛ مثل: الحرية، والإنسانية، والوطنية، والتقدمية، والوحشية، والكيفية، والفروسية...»، ضياء السالك إلى أوضاع المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط1/1422 هـ - 2001 م. 49/3، وينظر: النحو

الوافي، عباس حسن، دار المعارف-القاهرة، ط15/دت، 186/3.

8 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر. 932/2.

الجانب التركيبي منها، فهناك بنية دلالية، وبنية معجمية، وبنية أسلوبية، وهكذا...، و"طريقة تركيبية" تقابل طريقة تفكيرية أو تحليلية، وهذا كله يفهم من سياق الحديث.

1-1-2-2) الدلالة الاصطلاحية:

بدايةً نشير إلى أنّ دراسة "التركيب" تأتي في المستوى الثالث من مستويات الدرس اللساني الحديث بعد مستويي الصوت والمفردات، وهي في التراث العربي ميدان علم النحو وموضوعه، يقول السكاكي (626هـ): «اعلم أنّ علم النحو هو: أن تنحو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقاً، بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، وقوانين مبنية عليها؛ ليحتز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية»⁽¹⁾.

ومن هنا نجد أنّ كلمة "التركيب" تُشكّل مُركباً أساساً في الدراسة النحوية، بل وهدفاً في نفس الوقت، وهذا أمرٌ نصّ عليه النحاة واستقرّ في أعمالهم خاصّةً في أبواب شرح الكلام وما يتألف منه، ورغم هذه الأهمية والمكانة التي تبوّأته التركيب في الدرس التراثي والوعي بقيمته ضبابي المفهوم، هامشي الذكر لم تتأسس حدوده ولم تتضح معالمه، فلا نكاد نظفر بتحديدات جادة لهذا المصطلح، اللهم إلا عند متأخري النحاة؛ حيث بدأ يبرز في خطابهم هذا المصطلح ويتكرر مع استقرار نسبي لمفهومه.

وتفسير ذلك يعود إلى تداخل كل "التركيب" وامتزاجها في كتب النحو مع مصطلحات مركبة أخرى كانت لها الحظوة وعليها التعويل عند النحاة؛ كالكلام، والجمل، والقول...، ينضاف إلى ذلك طبيعة بنية الكلمة وتصرفاتها في الاستعمال، فهذه الكلمة (التركيب) وردت في الأ (المصدر)، وبيانها كما يأتي:

- فعل: ورد مبنياً للمعلوم ماضياً ومضارعاً: (- يتركّب)، ومبنياً للمجهول: (رُكّب).
- مصدر: " ()"⁽²⁾، وهو يدلُّ على الحدث ومصدر الفعل؛ أي: معناه والذي هو عملية الضمّ، وبهذا يُستعملُ وصفاً في الغالب، أي يلاحظُ فيه المعنى اللغوي⁽³⁾ ()⁽⁴⁾.
- اسم مفعول: «مركّب» (مُفَعَّل) فهو يدلُّ على الشيء الذي رُكّب، وهو يردُّ في استعمالهم بهذا المعنى، وقد

1 - الاقتراح، محمد : 1407/2 - 1987 : 75 : بيروت - التراث-دبي، 2002- 1423/2 . 234/1 .
2 - من الرباعي: رُكّب، كما ذكرنا في التعريف () غير فمصدره () نحو () .
3 - كما صرّح بذلك الملا عصام الإسفرايني (1037هـ) في: شرحه على الآجرومية، ص: 16 () : -بيروت، 1 1424- 2003) .
4 - ونظيره في الخطاب النحوي: مصطلح (اللفظ) فهو بمعنى الملفوظ، مصدر أُريدَ به اسم المفعول، وهو كثير في كلام العرب، ومنه قوله تعالى: [54 :]، قال الشوكاني (1250) : « القدير، محمد الشوكاني، دار كثير، بيروت، 1414/1 241/2 .

وهذا التعدد في الصيغ والدلالات يعكس تعدد الاستعمالات والسياقات التي ترد فيها، وبمسح سريع للتراثي "التركيب- " ورد استعمالها في مستويين اثنين، إفرادي وركيبي.

- مستوى المفردات: وهو يأتي في سياق الحديث عن الأدوات النحوية، والأسماء، وحتى الأفعال.

فالأدوات: (وهي حروف المعاني) لَمَّا كان الأصل فيها عندهم أنَّها على حرف أو حرفين⁽¹⁾

الأصل، ومن هنا جاء القول بالتركيب في بعضها، من ذلك قول ابن السراج (316) في

" : " « : معنى : (2) « (381هـ) في حروف العطف: » في

هذه الحروف زيادة معنى في

() « (3) ، وفي موضع آخر يقول: » يُخرجها

« (4) .

وأما وروده في الأسماء فهو الكثير الغالب، ومتى أُطلق عندهم فهو المراد، ومنه قول ابن السراج (316): « هذه

الأسماء : التركيب إلى « (5) .

« التركيب- » أنَّها متأصلة في الخطاب النحوي آنذاك للدلالة على الضم

الأسماء، ولهذا يعرف ابن جني

(392) - في لعمه- التركيب بقوله: » : اسمين أحدهم إلى غير

الثاني الهاء، ولم الثاني التركيب... « (6) .

وأما وروده في الأفعال فكما في علل ابن الوراق (381): »

« (7) ، ومثله في اللباب للعكبري (616): »

معنى

« (8) حظ أنه استعمل في سياقٍ تليفي، ولم يقصد به التركيب على الحقيقة كما مرَّ في

الأسماء والأدوات، ولذلك استعملوه على سبيل التشبيه: (بمنزلة التركيب -)

ملاحظة كون مصطلح: التركيب والمركب، كان متأصلاً استعماله -

الأدبيات النحوية منذ القرون الأولى، وقد قابل عندهم بشكلٍ عامَّ المفرد (مفرد/مركب)، وهي مقابلة ستبقى راسخة في

إلى يومنا هذا.

محمد محي	1	-	: أسماء
	2	-	التراث- 1426/ 2005 - 29/1 (2):
.211 / 2 . 1996- 1417/3 - بيروت،	3	-	محمد : محمد
.377: 1999 - 1420/1	4	-	: محمود محمد
	5	-	.193:
	6	-	.69/3 139/2 7/2 : .111 / 2
.160 : / -	7	-	جني، تح:
	8	-	.359 :
.260 / 1 1995 1416/1 -		-	العكبري، تح: عبد

ب- مستوى المركبات:

وأما في مستوى المركبات فيأتي مصطلح (التركيب) في سياقين اثنين:

1- في التحليل: ردُّ أحياناً كأداةٍ توصيفيةٍ للهيئة التركيبية الخاصة التي يتمُّ تحليلها، ولا ردُّ في هذا السياق إلا (التركيب)، (6هـ): في قول الشاعر:

»

... التركيب: لم يجز حتى هـرُّ كُلاً» (1)

(مكوّناتها النَّحوية) لهذا التركيب بخصوصه.

كلمة التركيب إلى النمط التركيبي، كقالب أو نموذج كلي يُنسج على منواله عدد غير محصور من أفراد التراكيب، وهي هنا أيضاً لا تردُّ إلا بصيغة المصدر (التركيب) للدلالة على نمطٍ تركيبٍ ككلٍّ أفرادها في الواقع اللغوي، فيُوصف التركيب حينها... الخ، ومنه عباراتهم التالية: «يمنعون هذا التركيب» (2) : «الفساد والخطأ، ويُحكم عليه في

التركيب بفساده» (3) «هذا التركيب

السمع» (4)، إلى غير ذلك من ، التي يُقصد بها الأنماط التركيبية.

ونلاحظ هنا أنّ هذا الاستعمال قد يطابق مفهوم الكلام أو الجملة، إذا كان النمط التركيبي صحيحاً، لكنهم لم يلحظوا في استعمالهم له في هذا الموضع إلا الهيئة التأليفية دون النظر إلى توفر الشروط التي يكون بها معتبراً عندهم كما في الكلام.

2- في شرح عملية تكوين وتشكيل الوحدات اللسانية الدالة، أو ما يُعبّر عنه بعملية ائتلاف أجزاء الكلام؛ أي الضمّ بين طرفي الإسناد، وأوّل من وجدناه اصطنع مصطلح التركيب بهذا المفهوم هو ابن السراج (316هـ) كما في : «والجمل المفيدة على ضربين: إما فعل وفاعل وإما مبتدأ وخبر، أما الجملة التي هي مركبة من فعل وفاعل

فنحو قولك: زيد ضربته، وعمرو لقيت أخاه، وبكر قام أبوه، وأما الجملة التي هي مركبة من ابتداء وخبر فقولك: زيد أبوه منطلق» (5)، فهو هنا يصف الجملة بالتركيب؛ أي: إنّه يعدُّ الترابط بين جزأي الجملة تركيباً

السيراني (368هـ) في (شرح الكتاب)، حيث يقول: «الكلام يوضع كلُّ كلمة منه تدلُّ على معنى ما ثمَّ تُركَّب فيقترب بعضها ببعض، فيقعُّ بها الفوائد المستفادة باقتراثها، وإن كانت كلُّ واحدة منها قد دلّت على معنى بعينه» (6)، فالسيراني

بهذا يستعمل التركيب موازياً لمفهوم التعليق بين الرؤية التي رسّخ الجرجاني في

التركيب.

- 1 - إيضاح الإيضاح، محمد حمود الدعجاني، - بيروت، 1408/1 - 1987 - 424/1.
- 2 - همع الهوامع في جمع : - / 279/1.
- 3 - 262/2.
- 4 - 296/2 : مغني اللبيب عن كتب الأعراب، : مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، دار الفكر-بيروت، ط 1985/6 . 14 : 266 545 708.
- 5 - الأصول في النحو، 64/1.
- 6 - شرح كتاب سيبويه، أبو سعيد السيراني، تح: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1429/1 - 2008 . 175/1.

وكان هذا من الإرهاصات الأولى التي مهّدت لظهور "التركيب"

أو يقاربا - - بقي استعماله محتشماً لا يردُّ إلاّ لماً في أبي عليّ

(377) في : «الجملة المركّبة من الاسمين...»⁽¹⁾ عند تلميذه ابن جيّ (392هـ) في : «

... , «وإنما جيء بالفاء في جواب الشرط توصلاً إلى

المجازة من المبتدأ والخبر»⁽³⁾ (400هـ) في : «والكلام على ضربين: مفيد وغير

يترّكب من اسمين نحو زيد أخوك، ومن فعل واسم نحو: قام زيد، ومن حرف واسمين نحو: إن زيداً

صديقك، ومن حرف واسم وفعل نحو: ليت زيداً يقوم، ومن فعل واسمين نحو: كان زيد أخاك، وما أشبه هذا من

التركيبات المفيدة، وأما غير المفيد: فما يترّكب من غير ما ذكرنا نحو: ذهب، خرج، و

التركيبات التي لا تفيد»⁽⁴⁾، ونلاحظ أنه قد فرّق بين نوعين من التركيبات (المركّبات)، مما يشير إلى أنّ التركيب عنده

وحدة لسانية قد تكون دالة وقد لا تكون كذلك، وسنرى أنّ هذا المفهوم هو الذي سيتعمّق ويسود في الفكر النحوي

ده.

الزخشي (538) بمعناه الذي يُرادفُ الكلام عند النحاة،

حينَ عرّف هذا الأخير بقوله: « : إحداهما إلى »⁽⁵⁾ :

يعني أنه أول من استعمل مصطلح التركيب بهذا المفهوم وُل من وجدناه يعبر عنه بهذا التعبير القريب من مفهوم

فورود المصطلح عنده مستقرّ الدلالة نوعاً ما يشير - إلى انتشار هذا المفهوم بين النحاة

آنذاك؛ ولهذا علماء معاصرين للزخشي يستعملون التركيب بشكل أوضح من هذا، كالموفق الخوارزمي (568)

: « : الام ما يترّكب من الكلمتين مستغنياً في الإفادة عن غيره، ولا يكون ذلك إلا في المركب من الاسمين

أحدهما حديثٌ عن الآخر، نحو: (زيد قائم، والله إلهنا)، أو من فعل واسم، نحو: (ضرب زيد، وبعث محمد)، ويسمى

ذلك مما يمكن تركيبه لا يُسمى...»⁽⁶⁾، فقد ورد في هذا النص: ترّكب (فعل=

(= الوحدة التي أُلّفت)، وتركيب: (المصدر=)، وبهذا نجد عنده

تصوّراً تاماً لهذا المصطلح وتعلّقه بالكلام وكيفية تأليفه، ومثله قول أبي إسحاق ابن ملكون (581هـ):

«الكلام: اسم لما استقلّ بالتأليف من مفرد الكلم ومرّكّبها وأفاد معنى من المعاني التي أُلّفت الكَلِم لها، وفي وصف له

آخر فيه: والكلام: ما رُكّب من الألفاظ تركيباً اكتفاءً واستغناءً للدلالة على معنى أو أكثر من المعاني التي يدور

عليها الكلام العربي»⁽⁷⁾.

- 1 - في النحو العربي، أبو علي الفارسي، تح: علي جابر المنصوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع- 2002/ .63:
- 2 - الخصائص، جني، : محمد، 30/1 . 1957- 1376/
- 3 - في جني، ص: 135.
- 4 - محمد : أحمد - 75/1 1982- 1402/1
- 5 - في الزخشي، : : الهلال- بيروت، 1993/1 . 23:
- 6 - في أحمد : (ماجستير) : محمود محمد -
- 7 - الكبير، أبو علي الشلوين، تح: تركي بن سهو العتيبي، مكتبة الرشد- 1983 1403 : 2.
- 198/1 . 1993- 1413/1

إلى هنا يتبدى لنا أنَّ "التركيب" حاضرٌ لكن في أعطاف التحليل والشرح، وليس كم رئيس، رغم الشحنات الدلالية التركيبية التي يمتلكها، إلا أنه لم يستو بعد قائماً.

الجزولي (607) : « (1) :

(2) (628هـ) في (940هـ) في أسرار النحو⁽⁵⁾، وغيرهم .. (3) (669هـ) في المقرب⁽³⁾ وابن آجروم (723هـ) في مقدمته (4)

وقد تطوّر هذا المصطلح ورعي في شروح هذه المتون وحواشيها، في مقدمتهم شرح المفصل لابن يعيش (643) حيث جاء فيه: « التركيب على ضربين: تركيبٌ إفراد و تركيبٌ إسناد...، و تركيب :

كلمة تنسب إحداهما إلى الأخرى»⁽⁶⁾ التركيب قد أصبح مركزاً أساساً في تحديد الوحدة اللسانية الدالة (الكلام)، وأصبح يطبقها في المفهوم في شكل من أشكاله؛ أي حين يكون تركيباً إسنادياً.

وبهذا بدأ مصطلح (التركيب/المركب) يستقرّ عندهم نسبياً خاصّة في الشروح والحواشي، وأصبح يُعرّف تصرّحاً لا تلميحاً، ففي شرح الجزولية للأبدي (680) : « مرّب: عبارة عن ضمّ كلمة إلى كلمة فأكثر»⁽⁷⁾

يُعتزّ على م لم يذكر قدّ التركيب في تعريف الكلام، كما اعترض الشاطبي (790) : « لم ينصّ على قيد التركيب وعادة النحويين أن يذكروه في حدّ الكلام فيقولون: الكلام هو اللفظ المركب المفيد ... اعتبره النحو»⁽⁸⁾.

وإذا تأملنا تعريف الأبدي للمركب لوجدناه يمثّل وحدةً لسانية مفتوحة، بمعنى أنها تتطلب في حدّها الأدنى وحدتين معجميتين بصرف النظر عن الحدّ الأقصى الذي يُمكن أن تقف عنده عدد هذه الوحدات، ذلك أنّ الفائدة (العنصر الدلالي) هو الذي يُحدّد ذلك، وهو منوطٌ بنوع العلاقات التي تربط بين الوحدات، ومن هذا المنطل النحاة بين أنواع من المركبات، ودرجوا على تقسيمها وفقاً لطبيعة العلاقة التي تربط بين أجزاء المركب إلى ثلاثة أقسام، وأحياناً أربعة كما في الشرح الكبير للسنهوري (889) : «والتركيب ثلاثة أقسام: تركيبٌ إسنادي: وهو ضمّ المبتدأ إلى الخبر، أو الفعل إلى الفاعل، و تركيبٌ مزجي: وهو الجمع بين كلمتين تُنزل ثانيتهما منزلة تاء التانيث مما قبلها، مثل: حضر موت... و تركيبٌ إضافي: وهو الجمع بين كلمتين تنزل ثانيتهما منزلة التنوين مما قبله، كعبد شمس... وزاد بعضهم تركيباً رابعاً، وسماه: التركيب التقييدي، وهو: ضم الموصوف إلى الصفة ك حيوان ناطق، قيل: والأول من هذه التراكيب

1 - في الجزولي، : محمد، : أحمد محمد أحمد جمعة،

1408/1 - 1988 . 3:

2 - الفصول الخمسون، أبو الحسين ابن معطي، تح: محمود محمد الطناحي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، دط/1977 : 149.

3 - المقرب، علي بن مؤمن ابن عصفور الإشبيلي، تح: أحمد عبد الستار الجوّاري، وعبد الله الجبوري، د مط، ط2/1392 - 1972 45/1.

4 - مية، ابن آجروم الصنهاجي، تح: حاييف النبهان، دار الظاهرية للنشر والتوزيع - 1432/2 - 2011 : (41) .

5 - أسرار النحو، ابن كمال باشا، تح: أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2/1422 - 2002 : 76.

6 - المنيرية - / 20/1 .

7 - شرح الجزولية (السفر الأول)، أبو الحسن الأبدي، تح: سعد حمدان محمد الغامدي (رسالة دكتوراه)، إشراف: محمد إبراهيم البنا، -

1405 1984 1/1 .

8 - في الشاطبي، (1) : عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، التراث

1428/1 - 2007 - 33/1 . 35

«(1)- أي في تعريف الكلام-، وفي هذا النص نلغي النحاة قد كَوْنُوا صورة واضحة جداً حول "التركيب" وأنواعه، حيث تم الاستناد إلى معيار دقيق في تحديد هوية التركيب ونوعه، وهو المعيار التي تربط بين مكونات التركيب هي المرتكز في الحكم والتصنيف.

في معجمات المصطلحات العربية في القرنين (11 12هـ) قد تأسس وتأسل في قاموس

المصطلحات النحوية، وظهر ما يُسمى بـ " " »

«(2) "المركب الناقص" «المركب غير التام الذي لا يصح السكوت عليه يكون محتاجاً في الإفادة إلى لفظ آخر ينه ه «(3)، وذلك إذا لم يح التركيب إسناداً، أو فيه إسناداً ف على غيره

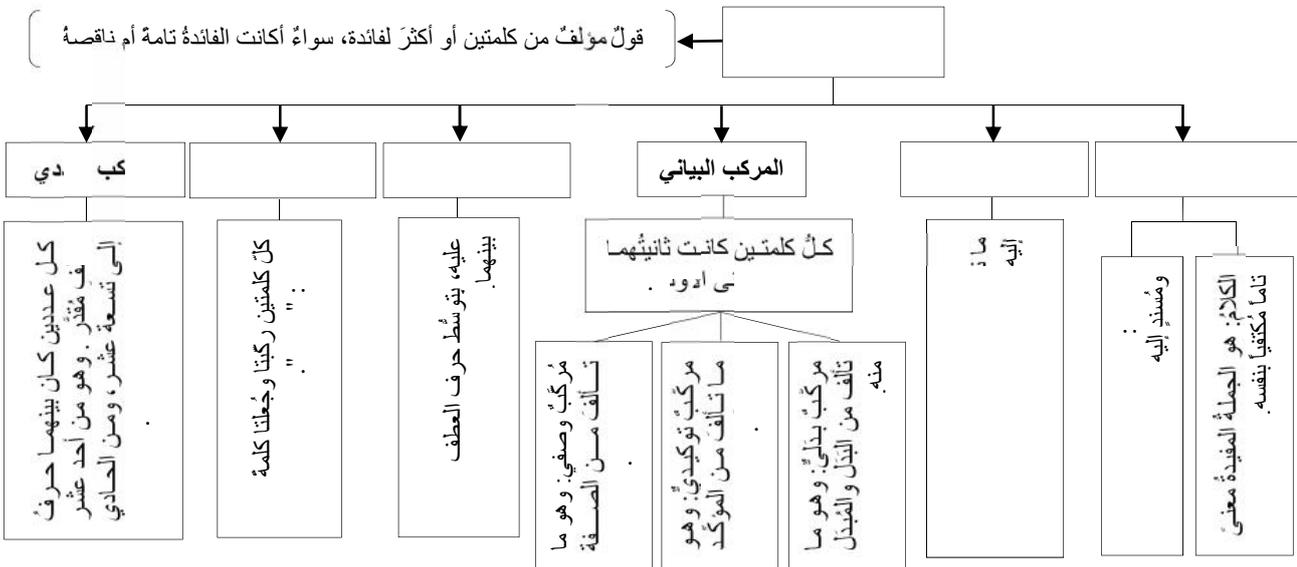
" " إلى درجة الاصطلاح اللساني الدقيق، حيث يتركز على معيار دلالي تداولي (- صحة السكوت) يؤول في حقيقته إلى اعتبار العلاقة الإسنادية سلباً أو إيجاباً، وهذا تطور مهم في التحديد النحوي؛ حيث أضحى المركب التام يطابق مفهوم مصطلح: "الكلام، والجملة".

وبهذا التطور الملحوظ للمصطلح تمهد البا محمود العالم المنزلي (1311) حيث أفرده لأول مرة في كتاب نحوي - عنا- مبحثاً خاصاً بالمركب وأجزائه في كتابه " (4)، غير أنه بإيجاز وتكرار

ذكره شراح المتون من قبله، ولكنه عمل يؤكّد استقرار المصطلح وتمكّنه ضمن الدرس النحوي، مما سمح بظهور آخر مصطفى الغلاييني (1364هـ) ليرسم معالم هذا المصطلح ويدرسها في كتاب "

" بشكل مؤصل مؤسس؛ فعرف المركب بأنه: «قول مؤلف سواء : " في " ناقصة، : " الشمس، الإنسانية " (5)، ثم قسمه

إلى ستة أنواع، فصل كل قسم لوحده بتعريفه وذكر أحكامه النحوية إجمالاً، ويمكن تلخيصه في التالي:



1 - شرح الأجرومية في علم العربية، علي بن عبد الله السنهوري، تح: محمد خليل حدون، 2006 . 85-84/1 . : - بيروت،

1424/ - 2003 . : 14.

2 - () في (الأحمد : فحص، دار - بيروت، ط1/1421 - 2000 - 168/3 .

3 -

4 - () في (محمود العالم المنزلي، - 1322/1 - 1904 : 59 .

5 - محمد الغلاييني، - 1414/28 - 1993 - 12/1 .

وأبرز ملاحظة يمكن ن نسجلها بعد هذا العرض الزمني لمسار المصطلح هي التَّأخُّر الكبير الذي شهده مصطلح "التركيب" في التأسيس المفهومي ضمن المنظومة المصطلحية النَّحوية، ولعلَّ من أهمِّ الأسباب التي أسهمت في هذه -إضافة إلى ما سبق- هو تجاذبُ مصطلح "التركيب" الدَّلالة التركيبية مع مصطلح " " عددًا غير قليل من النحاة يفضِّلون مصطلح "التأليف" على مصطلح "التركيب"، وعلى رأسهم أبو عليِّ الفارسي والجرجاني⁽¹⁾، وكثير مَّن جاؤوا بعدهما كانوا يستعملون " " " التركيب" " « أليف: وقوع الأُّ هو أخص من التركيب، إذ التركيب ضم كلمة إلى أخرى فأكثر، فكل مؤلف مركب من غير عكس»⁽²⁾، وبهذا نجد أنَّ البعدَ العلائقي الذي كان يتوخَّاه النحاة في الوحدة الإفادية (الكلام) هو الذي جعلهم يفضِّلون التعبير بالتأليف على التركيب، وإن كنا نجد في الحقيقة عددا معتبرا كذلك من النحاة يستعملون "التركيب" للدلالة على آليه التعليق والضمِّ، وهم عادةً يقيِّدونه بـ "المفيد" - البعض في تعريف الكلام لا يذكر فيه "التركيب" اكتفاءً بالإفادة، لأنَّها تتحقق من تركيب علائقيٍّ لزامًا، وهو م يسمَّى: "التركيب الإسنادي". من النحاة من عبَّرَ بالتأليف والتألف، ومنهم من عبَّرَ بالتركيب مقيِّداً إيَّاه

ومَّا يلاحظ أيضًا أنَّ مصطلح "التركيب" رغمَ أنَّه لا يُفيد تلك ، إلا أنَّ بعده البنائي الهندسي بدا أنسب للتركيب اللغوي الذي ينحو في تظهريه شكلاً بنائياً، لذا بقي استعمال "التركيب" قوياً وحضوره مسجلاً في الخطاب النَّحوي.

وإذا ما عدنا إلى مفهوم "التركيب" في الدرس اللسانيِّ العربيِّ الحديث، فإننا نجدُه متأرجحَ الدَّلالية بين المفهوم التراثيِّ، والمفاهيم اللسانية الوافدة، ففي الوقت الذي يحاول بعض الباحثين إحلال مصطلح "التركيب" محلَّ "الجملة، والكلام" والاستعاضة به عنهما في تحديد الوحدة اللسانية الإفادية - (3) -

آخرين قد احتفظوا بالمفهوم التراثي وارتضوه، كما الحال عند د. حولة إبراهيمي، تقول: « مستعملاً للدلالة على مفهوم الجملة، ولكنَّه أوسع مجالاً منه؛ إذ يدلُّ على أنواع من التراكيب عديدة لا تدخل في عداد جملة، مثل: التركيب العددي، والتركيب المزجي، والتركيب الإضائي... الخ»⁽⁴⁾، وفي نفس المسار نجدُ د. عبد الجليل مرتاض يعرف التركيب بأنَّه: «تلاصقٌ متتابع لوحدين دالتين أو أكثر، سواءً دلَّ على فائدة تامَّة أم ناقصة»⁽⁵⁾. ولقد أدَّت ترجمة المصطلح (Syntax) إلى "التركيب"⁽⁶⁾، إلى تعقيد الوضع الاصطلاحيِّ أكثر بالنسبة لهذا الأخير في الثقافة اللسانية العربية الحديثة؛ ذلك أنَّ المصطلح الأجنبيِّ (Syntaxe-Syntax) يحملُ عدَّة مفاهيم

1 - : : في شرح الإيضاح، عبد القاهر الجرجاني، : الشريبي شريدة، دار الحديث - 1430هـ/ 43/1 2009.

2 - شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهرى، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1/1421 - 2000/ 15/1 : تح: جميل عبد الله عويضة، وزارة الثقافة - 2004/1 58/1.

3 - ينظر: آليات الترابط في التركيب اللغوي (رسالة ماجستير)، طالب أمين زهر الدين، إشراف: أ.د. صفية مطهري، كلية الآداب واللغات والفنون: قسم اللغة العربية وآدابها - 2012/2011 : 71 .

4 - مبادئ في اللسانيات، حولة طالب إبراهيمي، دار القصة للنشر - 2000/ : 101.

5 - في 2008/ : 190.

6 - 1984/ : 180 - إنجليزي فرنسي عربي -

- بيروت، ط1/2009 : 329.

لسانية مختلفة، فقد يعني دراسة القواعد التي تحكم طريقة تضام الكلمات لتكوين الجملة في اللغة⁽¹⁾، وقد يشير إلى المستوى اللساني، وقد يعني القواعد والنظم التي تحكم بنية الجملة، أو العلاقات التي تربط⁽²⁾، وقد انتقلت كل هذه المعاني والدلالات الاصطلاحية إلى المصطلح العربي "التركيب" في تحديد المفهوم المراد، فقد يُقصد بالتركيب في سياق معين العلم الذي يدرس بناء الجمل، وقد يُراد به في سياق آخر المستوى اللساني، وفي سياق ثالث يشير إلى الوحدة اللسانية المركبة ذاتها (الجملة). إن هذا الوضع قد سلب مصطلح "التركيب" دقة التحديد المصطلحي، وأحاله إلى أداة توصيفية في غالب تخضع بالدرجة الأولى في تعيين مدلولها إلى السياق.

2-1) تحديد المفهوم:

خلصنا في المبحث السابق إلى أن "التركيب" في الدرس اللساني الحديث يُستعمل بمفاهيم متعددة يتكفل السياق بتحديددها، فقد تراوحت بين الدلالة على الوحدة اللسانية المؤلفة (الجملة)، والمستوى اللساني (المستوى التركيبي)، والدراسة الوصفية للوحدات اللسانية المؤلفة (علم التركيب).

" " " تصور عقلي تجريدي ينهض بشكل
ذاتها

على اكتناه الأشياء والظواهر وتعلُّلها، لذا كان استعمالها لهذا الغرض عامًّا وفي مجالات مختلفة، على رأسها الدرس اللساني الذي احتضن جميع مستوياته (الصوتية، والإفرادية، والتركيبية، والدلالية، والأسلوبية...)، ومن هنا البنية الإفرادية، والبنية التركيبية، والبنية الدلالية...".

إن مفهوم "البنية التركيبية" يحمل طابعًا تجريديًا، لأنه يدلُّ في حقيقته العلمية على ذلك النظام والنسق من العلاقات التي " ي يف النظام التركيبي ككل".

البنية التركيبية لخطاب ما هي: إطار ذهني كلي للتعبير عن مجموع الأنساق التي تحكم وتنظم أفراد التراكيب (الجمل) المكوّنة لهذا الخطاب، وهو بهذا المفهوم يقاربُ تعبيرنا بـ "الجملة في الخطاب"، غير التعبير بـ "البنية التركيبية" له أفضلية ما كليًا يهيمن على النظام التركيبي للخطاب بصفة عامة، بخلاف مصطلح "الجملة" الذي يميل إلى التحديد الإحالة إلى الوحدة اللسانية المنجزة.

وبهذا يظهر أن مصطلح "البنية التركيبية" هو مفهوم لساني تجريدي يُصطنع لمقاربة الظاهرة التركيبية بأبعاد مختلفة وقضاياها المعقدة في الدرس اللساني الحديث، إنَّه مصطلح يُتيح لنا توصيف نظام اللغة على المستوى التركيبي (التركيب) - تحيل إلى طبيعة هذا التوصيف ومرتكزاته المنهجية الحديثة، كما تحيل إلى الأطر والغايات التي يسعى إلى تحقيقها.

1 - A Dictionary of Linguistics and Phonetics, David Crystal. P.470 .

Dictionary of Semiotics, Bronwen Martin and Felizitas Ringham,. p.129-130.

A Glossary of Literary Terms, M. H. Abram, Heinle & Heinle USA. 7th Edition 1999, p.141.

2 - Le Nouveau Petit Robert, Paul Rober, Version électronique.(Syntaxe).

(2) مفهوم الخطاب السياسي:

قبل أن نحدّد مفهوم " (Le discours politique) "

مفرداته التي يتكوّن منها: " " لوحدتها يعتبران من أكثر المصطلحان تعقيداً، واختلافاً بين الدارسين في تحديد مفاهيم مرّضية لهما، إضافة إلى أنّ كلاّ منهما ينتمي إلى حقل معرفيّ يختلف عن الآخر اختلافاً كبيراً في المنهج والموضوع ، وبقدر هذا الاختلاف والتباعد نجدتها متقاطعين ومتعالقين بشدّة، وهذه مفارقةً وتشابك آليّتها.

(1-2) التأسيس المعرفي:

(1-1-2) مفهوم الخطاب:

"الخطاب" (Le discours) انتشاراً كبيراً في الحقول اللسانية المعاصرة، وأضحى من أكثر

وفعاليتها الإجرائية من كونه يُشكّل تقاطعاً وتلاقياً بين الحقل اللسانيّ وغيره من حقول المعرفة الإنسانية، ليكون علامةً على تغييرٍ في طريقة تصوّر اللغة في المعرفة الإنسانيّة ، وقد أفقده هذا الانتشار والاتساع صرامة التّحديد ودقّة المفهوم، فتعدّدت مفاهيمه واختلّفت دلالاته بتعدّد تصوّرات المهتمين به وتباين مرجعياتهم المعرفية، يُنضاف إلى ذلك الشّرّه لهذا المصطلح -على غير وجهه- ممّا أفقده أو كاد مفهومه اللسانيّ الأصل. ولذلك وجب علينا أن نقف مع هذا المصطلح مليّاً لعرض أهمّ تصوّراته ومفاهيمه (1) ليتسنى لنا تحديد المفهوم الأنسب والأقرب الذي نقصد إليه في هذا البحث.

(1-1-1-2) الدلالة اللغوية:

الخطابُ: مصدرٌ ثانٍ لل : «(2) ، وجذره: »
 : أحدهما «(3) : «(4) : «(5)
 : «اسمٌ «(6)
 التي لها أوّلٌ وآخرٌ، قال: وسمعتُ : هذه الضُّغطة... إلى لها
 وغايةً، وآخرًا «(7) : ; سميّ «(8) وفي معجم

1 - أي إنّنا لن نعرض للمفاهيم والتّصورات الفلسفية أو النقدية أو السردية، لبعدها عن موضوع البحث ومنهجه.

2 - جمهرة اللغة، ابن دريد، (مادة خطب) 291/1.

3 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة خطب) 198/2.

4 - المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (مادة خطب) 122/5.

5 - أساس البلاغة، الزمخشري، (مادة خطب) 255/1.

6 - تهذيب اللغة، الأزهري، (مادة خطب) 112/7.

7 -

8 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة خطب) 198/2.

» : 1- ... 2- 3- كلامٌ إلى الجماهير في

4- محاورَةٌ، «..»⁽¹⁾.

وَمَا سَبَقَ يُمْكِنُ أَنْ

- أَنَّ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةَ " (ومادةُ حَطَبٍ بصفةٍ عامَّةٍ) يقتصر مفهومه على اللغة المنطوقة في حال المحاورَةِ، لكنَّ هذا المفهوم قد اتَّسع وتطوَّر في العربية الحديثة ليشمل اللغة المكتوبة حال المراسلة، كما أصبح يدلُّ " " الذي يُحطَّبُ به، فقد: « من المصدرية إلى الاسمية»⁽²⁾ الأصيلين في درسه.

- " فيها التركيز على معنى المحاورَةِ (مفاعلة)، مما يستدعي بالضرورة موقفاً تواصلياً يفترض وجودَ طرفين على الأقل، مخاطِبٍ - ، ومخاطَبٍ - إضافةً إلى وجود () كذلك قصدية (والتي " "، وكأنَّ التواصل في مفهوم هذه أمر أساسي في تحقيق معناها، وفي هذا الصدد نجدُ الإسْنوي (772) : «الخطاب والمخاطبة في اللغة لا يكون إلا من مخاطبٍ ومخاطَبٍ بخلاف الكلام»⁽³⁾ قَصَرَ الخطاب والمخاطبة على الحوار مفهومٌ نجدُه عند مدرسة كبيرة من مدارس تحليل الخطاب، وهي مدرسة (Birmingham) والتي تحصر الخطاب في ⁽⁴⁾ - في النَّص الذي نقله الأزْهري عن الفراء، والذي يَعتبرُ لها أَوَّلُ وآخر، ومدَّةٌ وغاية،

، فقد طابَق فيه أو كاد مفهوم الملفوظ كما عرَّفَه جون ليونز (J. Lyons) هاريس (Harris) : «كلُّ جزءٍ من أجزاء الخطاب ينجزه متكلمٌ؛ بحيث يكون هناك وقف قبل هذا الجزء وبعده من لدن»⁽⁵⁾ «خطبة كما يتصوَّرها الفراء هي كلامٌ - () :

عند الحضور، له حدودٌ (أول/آخر) تُؤدِّن بفتتاحه وانغلاقه، مما يُعطيه نوعاً من الاستقلالية والتحديد، وهذه كُلُّها تصوُّرات نجدُها طاغيةً في المفهوم الغربي الحديث لمفهوم الخطاب، كما سيأتي بيانه - .

قد ورد لفظ "الخطاب" في القرآن الكريم في مواضع عدة وبصيغ متنوعة جاء أحياناً بصيغة الفعل، كما في قوله تعالى: وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا [63 :] في قوله تعالى: وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ [20 :]. " " في " وغيرها جاءت دلالاته في عمومها ضمن دائرة التكليم أو المحاورَةِ، أو المواجهة الكلامية بين طرفين. ولكن بمدلولاتها ذات تنوع تنوع

1 - معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر وآخرون، 660/1.

2 - معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، 354/1.

3 - نهاية السؤل شرح منهاج الوصول - بيروت 1420/1 - 1999 : 17.

4- Discourse analysis for Language Teachers, MICHAEL McCARTHY, Cambridge University press 16th printing 2005. p.12

5 - الملفوظ، أحمد يوسف، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية (جامعة الجليلي اليابس- بلعباس)، ع2002/1 : 55.

وأما المصطلح الأجنبي (Discours)، فقد تُرجم إلى العربية بعدة مصطلحات، منها: المقال، والحديث، والنص،⁽¹⁾، والخطاب، وكانت هذه الترجمة الأخيرة هي الأشيع والأكثر انتشاراً واصطناعاً في الأدبيات العربية، خاصة بعد أن تبناه ملتقى "ابن رشيق" بالجزائر (ماي 1980)⁽²⁾.

(Discours) الفرنسية إلى الأصل اللاتيني (Discursus)⁽³⁾ (Discurrer)

والذي يعني الجري هنا وهناك، أو الجري ذهاباً وإياباً، وهو فعلٌ يتضمّن معنى التدافع الذي يقترن بالتلقُّظ العفويّ، وإرسال الكلام والمحادثة الحرة، والارتجال، وهذا يعني أنّه ليس أصلاً مباشراً لما هو مصطلحٌ عليه بالخطاب، وإنما انتقلت هذه المعاني الضمنية لدلالة الكلمة وترسّخت مع مرور الوقت⁽⁴⁾.

مما سبق يُمكن القول بأنّ الدلالة اللغوية المؤسسة في المعاجم العربية لكلمة "الخطاب" كانت أكثر تساوفاً مع

(Discours).

2-1-1-2 الدلالة الاصطلاحية:

رأينا آنفاً أنّ كلمة (خطاب) متأصلة في الاستعمال اللغويّ العربيّ بدلالة واضحة جليّة، زادها رسوخاً ورودها في القرآن الكريم، ممّا أهلها لأن تكون مصطلحاً علمياً ذا قيمة كبيرة، وبالخصوص عند الأصوليين، الذين ورد عندهم لفظ () - كمصطلح علمي - أكثر ممّا ورد عند غيرهم، «انطلاقاً من أنّ الخطاب هو الأرضية التي استقامت أعمالهم عليها، بل كان هو محور بحثهم»⁽⁵⁾.

فعرّفوه بأنّه: «ما وجّه من الكلام نحو الغير لإي»⁽⁶⁾ : « (7)»

لم

فإنه

غير

وليس

فإنه

متهيناً " () احتراز () احتراز

الألفاظ () بها () احتراز () متهيناً : () احتراز

ونحوه»⁽⁸⁾.

ونلاحظ أنّه قد وضع في هذا التعريف الحدود كاملة لعناصر حلقة الخطاب، كما يُورد الشروط اللازمة لكلّ عنصر من عناصرها الثلاثة، فالمخاطب لا بدّ من توفر قصد الإفهام لديه وإيصال الرّسالة، والخطاب يجب أن يكون مما تواضع

1 - ينظر: مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، حسن محمد وجيه، المجلس الوطني الاعلى للثقافة والفنون والآداب- 1994/ . 53 :

2 - ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة- 2000/ 87-88 :

3 - Le Nouveau Petit Robert, dictionnaire alphabétique et analogique de la langue française 2009, Version électronique nouvelle édition du PETIT REBERT de Paul Robert.(Discours).

4 - ينظر: مفهوم الخطاب في النظرية النقدية المعاصرة، عبد الرحمن حجازي، مجلة علامات، 1426هـ- 2005 : 124.

وقضايا النص، عبد القادر شرشار، دار الأديب- 2006/ . 14 :

5 - استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغوية تداولية)، عبد الهادي بن ظافر الشهري، الكتاب الجديد المتحدة-بيروت، ط1/2004 . 36 :

6 - الإجماع في شرح المنهاج -بيروت 1416هـ- 1995 /43/1

7 - في " " : -بيروت/دمشق، ط2/1402 95/1 . :

العلوم في الحدود والرسوم : محمد إ - 1424/1 - 2004 : 62 .

8 - في 96-95/1

والخطابُ عند الأصوليين ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالقرآن الكريم باعتباره هو الخطاب المقصود عندهم والذي تؤخذ منه حي لها علاقة بخصائص هذا الخطاب الرباني، من

ذلك استبعادهم للعلامات غير ل

وذلك لأنَّ الخطاب القرآني -

- لا يُؤدِّي بعناصر غير لسانية كالحرك

والإشارات والإيماءات...، بل هو كلامٌ يُنطقُ به⁽¹⁾. وبالتالي أقصى العناصر غير لسانية من مفهوم الخطاب.

ومهما يكن من شيء فإنَّ مفهوم الخطاب قد تطوَّر في الدرس الأصولي، حيثُ تجاوزَ البحثُ في المفردة أو الجملة إلى البحث في خطابٍ

والجمل بدلالات يقتضيها موضوع الخطاب، فميَّزوا بين الخطاب،

...⁽²⁾ إلا أنَّ الدرس اللغوي العربي الحديث لم

يستثمر هذه المفاهيم التراثية -

ضبابية في المفهوم واختلاف في التَّحديد⁽³⁾.

يُصطَنَعُ في مقابلة المصطلح الغربيّ (Discours)، والتي دخلت الحقلَ

لللساني الحديث بادئ ذي بدء مع دي سوسير

اللساني الحديث بادئ ذي بدء مع دي سوسير

ة⁽⁴⁾، فقد كان لذلك التفريق دورٌ في تحديد المصطلح (الخطاب)، إذ إنَّ اللغة تُعتبر نظاماً اجتماعياً يتشكَّل

: «اللغة كما يمارسها المتكلم»⁽⁵⁾

تجسيداً بالف .

وقد تتابع اللسانيون بعد دي سوسير على تقديم تصوُّرات ومفاهيم في سبيل إرساء معالم هذا المصطلح وضبط حدوده، وذلك في سلسلةٍ من التَّقابلات إزاءَ مصطلحات ومفاهيم متاخمة له، اكتسب فيها الخطاب قِيماً دلالية أكثر دقَّة، أهمُّها:

1- خطاب/جملة:

- في - بمُثَلِّ وحدةٍ لسانية قوامها سلسلة من الجمل المتعاقبة، وهذا هو المفهوم الذي قصد

إليه هاريس (Z. Harris) حين وسَّع حدود موضوع البحث اللساني

كانت تعتبر أكبر وحدة لسانية قابلة للوصف (التحليل) - إلى الخ : «ملفوظٌ طويلٌ، أو هو

متتالية من الجمل تُكوِّن مجموعةً منغلقةً يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية،

1 - أيضاً- تقسيم الخطاب إلى كلام تُلْفَظي وكلام نفساني، وجعل الكلام التَّنَسِّي هو الأصل، وكلُّ ذلك مبني على اعتقادات خاصة ينظر تفصيلها في: مذكرة أصول الفقه، محمد الأمين الشنقيطي، - 2001/5 : 11 - 224-227.

2 - ينظر: القاموس المبين في اصطلاحات الأصوليين، محمود حامد عثمان، دار الزاحم للنشر والتوزيع- 1423/1هـ- 2002 : 153 163 .252 230

3 - والاختلاف في تحديد مفهوم الخطاب حاصل في الثقافة الغربية قبل انتقالها إلى اللغة العربية عن طريق الترجمة، خاصة عندما يدخل في تقابلات مع مصطلحات متاخمة له في الجهاز المفاهيمي، كالنص، والملفوظ.

4 - سوسير وعلاقته بمصطلحي "الكلام، والملكية اللسانية"؛ حيثُ أبان في معرض الرَّد (Michel arrivé) أنَّ مصطلح الخطاب قد ورد في دروس سوسير، وأنَّه يأتي عنده بمعنيين متقاربين، الدلالة على نشاط المتكلم، والدلالة على التَّشاطُّب نفسه، ينظر: البحث عن دي سوسير، شال أرنيفيه، محمد خير محمود البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت، ط1/2009 : 158-162.

5 - في تحديد مفهوم الخطاب، كمال عمران، المجلة العربية للثقافة (تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، ع25/1415هـ- 1995 : 63.

الملفوظ (Enoncé)

(1) وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض»

مفهوم أصطنع كآلية تحليلية للخطاب تقوم مقام الجملة، لأنَّ الملفوظ: «هو كلُّ جزء من أجزاء الخطاب ينجزه متكلم؛ بحيث يكون هناك وقف قبل هذا الجزء وبعده من لدن المتكلم»⁽²⁾، وبهذا التحديد فالملفوظ باعتباره كلاماً منجزاً يصبح وحدة متكاملة دلاليًا، لكن هذه الوحدة ليس لها طول محدد، فقد يتشكّل الملفوظ من جملة، أو من عدّة جمل تصل عند بعضهم إلى حجم⁽³⁾.

وقد تناول هاريس الخطاب بنفس التّصور والآليات التي يُحلّل بها الجملة، بدراسته دراسةً لسانية محايدة تتعامل معه باعتباره متنا مغلقًا، وبذلك تمّ عزل الخطاب عن ظروف إنتاجه، لأنّها في رأي هاريس ليست من البحث اللّساني. غير أنّ منهجه هذا في تحليل الخطاب اعترضته عدّة صعوبات، ووقف أمام بعض المقاطع الخطابية عاجزًا عن التّحليل؛ ذلك أنّ الضوابط التي تتحكم في بنية الخطاب ليست ضوابط نحوية دائمًا، فقد تكون ضوابط أسلوبية وأخرى تداولية تتحكم في كثير من الأحيان إلى عناصر غير لسانية⁽⁴⁾، وهذا ما برّر ظهور مقابلة من نوع آخر تمثّلت في:

2- خطاب/لسان:

وفي إطار هذا التّقابل نجد بنفست (E. Benveniste) ينطلق من اعتبار الجملة أصغر وحدة في الخطاب، مميّزًا الخطاب باعتباره تجلّ لهذا اللسان وتنجز له في عملية التّلفظ⁽⁵⁾

"التلفظ" (Enonciation) (1974) : «تسخير اللغة بواسطة الفعل الفردي للاستعمال»⁽⁶⁾

التلفظ هو الفعل الدّاتي في استعمال اللغة، إنّه فعل حيوي في إنتاج خطاب ما بواسطة متكلم معيّن في مقام معيّن، «كلُّ تلفظ يفترض متكلّمًا ومستمعًا، وعند الأوّل هدف

التأثير على الثاني بطريقة ما»⁽⁸⁾

هنا اعتبره بنفست بأنه هو موضوع الدّراسة وليس الملفوظ كما ذهب إليه هاريس من قبل.

وبهذا فنحن أما تحليله، رسمًا طريقتين متباينين لم

التّصوّرات اللّسانية التي أتت فيما بعد على كثرتها وتنوّعها، فهناك تصوّر تركيبّي، وآخر تداوليّ، مع ملاحظة التّطوّر الكبير الذي حصل في التّصوّر التداوليّ الوظيفيّ، ففي النموذج الوظيفيّ العربيّ نجد أحمد المتوكّل «

ملفوظ/»⁽⁹⁾، فقد تمّ تحييد الثنائية التقابلية (خطاب/جملة) ليصبح الخطاب

1 - (- - التبعير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء/ بيروت، ط 2005/4 : 17.

2 - الملفوظ، أحمد يوسف، ص: 55. وينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، تر: محمد يجياتن، منشورات الاختلاف- بيروت، ط 2007/1 : 51.

3 - الملفوظ، أحمد يوسف، ص: 56.

4 - ينظر: النّص والتأويل - دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي -

5 - : 18 - - :

Dictionary of Semiotics, B. Martin & F. Ringham, p.51

6 - : 52.

7 - : 19 - - :

8 - Problème de linguistique générale (T1), E. Benveniste, Edition Gallimard 1966. P.129-130.

9 - الخطاب وخصائص اللغة العربية - دراسة في الوظيفة والبنية والنمط -، أحمد المتوكّل، منشورات الاختلاف- 1431/1هـ- 2010 : 24.

شاملاً للجملة، واعتمدت التواصلية معياراً للخطابية، كما تمّ إقصاء معيار الحجم من تحديد الخطاب، فمن الممكن أن يكون نصّاً كاملاً، أو جملة، أو مرَكَّباً .

ولئن كان التّصوّر التّداوئيّ أو الوظيفي للخطاب الأكثر شيوعاً في اللّسانيات المعاصرة، والأشدّ ارتباطاً بتحليل الخطاب، فإنّ التّصور التركيبيّ

لموضوع البحث، لذلك فمفهوم الخطاب الذي يرتضيه البحث هو "جملة"، باعتبار الجملة هي المكون الرئيس الذي يحدّد هوية الخطاب التركيبية، وبالتالي

، ومع ذلك لا يمكننا أن نعتبر "الخطاب" بنية لغوية تخضع لقواعد تركيبية صارمة في التّشكيل فحسب، إذ هو في حقيقته تشكّل متعدّد البنى يخضع في اتّساقه إلى حصيلة تفاعل اللغة مع سياق الإبلّغ والتّواصل⁽¹⁾، وبالتالي تتقاطع في تكوينه عناصر لسانية وأخرى غير لسانية - ، ومن هنا فارتباطنا للتّصوّر التركيبيّ في هذا

المقام قائم على الاجتزاء بالعنصر اللّسانيّ من الخطاب، ومقارنته مقارنة تركيبية خا .

وهذا يُفضي بنا إلى الحديث عن علاقة الخطاب بالتركيب، وهي علاقة تتأسّس على مستوى التّجميع لوحداث

الخطاب وتشكل دلالتها، ذلك أنّ التّجميع لهذه الوحدات المكوّنة للخطاب ليس باعتبار نسقتها المعجميّ الإفراديّ،

وإنّما باعتبار سياقها الملفوظيّ التركيبيّ⁽²⁾، ومن هنا فإنّ التّركيب يكتسي أهمية بالغة بالنسبة إلى البنية المكوّنة للخطاب،

وبالتالي فإنّ الكشف عن هذه البنية تعتمد بالضرورة على تفكيك النّسق التركيب ودراسته في بنياته الأساسية، والتي

يُعبّر عنها غالباً بالجملة، فهي «⁽³⁾» - ، وهذه العلاقة التي اتّضحت لنا بين

الخطاب والتركيب من جهة، وبين الخطاب والجملة من جهة أخرى هي التي تعطينا مشروعية المقاربة التركيبية

للخطاب باعتبارها مرحلة مؤسّسة للكشف عن بنية الخطاب في مستوى تنهض عليه بقية المستويات)

(...).

2-1-2 أنماط الخطاب:

يتصلّ بقضية تحديد مفهوم الخطاب قضية أخرى، لا تقصر عنها في الأهمية، وهي تصنيف الخطاب أو تنميّطه،

ويبدو أنّ الباحثين لا يتفقون على معايير موحّدة تخضع لها عملية تصنيف الخطابات، وذلك لأنّ هذه المعايير

والمقاييس المعتمدة قد تتباين أحياناً، وأحياناً أخرى تتداخل بشكل مضلّ، ممّا أدّى إلى استحداث جملة من المفردات

(types de) (Genres de discours) :

(discours) (Typologie des discours) (Formation)

(Discursive)⁽⁴⁾.

ومع هذا فإنّ التّمنيط التّقليديّ المتوارث للخطابات يقترح تصنيفاً يقوم على أحد المعايير الثلاثة: (الموضوع،

(⁽⁵⁾).

34 2010/ -

1 - النص والتأويل - دراسة دلالية في الفكر المعرفي التراثي -

2 - : 34.

3 - : 18.

4 - ينظر حول هذه المصطلحات: معجم تحليل الخطاب، باتريك شارودو، ودومينيك مانغونو، تر: عبد القادر المهيري، حمادي صمود، المركز الوطني للترجمة -

133 65 61 :

تونس، دط/2008 : 574 268 261 :

5 - الخطاب وخصائص اللغة العربية، أحمد : 25.

- الموضوع: بحَبِّ المواضيع التي تتضمنها، أو المجال الموضوعي

طاب بعينه، وعلى هذا الأساس يقترن لفظ " بوصف آخر يحدِّه الموضوع :

الأدبيُّ بنيّ... إلخ.

- الآلية: أي التقنية المشغلة في

والخطاب الحجاجي... إلخ.

- البنية: وتصنّف الخطابات من حيثُ بيئتها الفنيّة إلى: قصّة، ورواية، وقصيدة... إلخ.

ويشير المتوكل إلى أنّه «يُمكنُ الاحتفاظ بهذا الترميز لاشتهاره وكثرة تداوله شريطة أن تُؤخذ بعين الاعتبار سماته
: «(1).

السمات فيه تشترك فيها في عديد الأنماط مع اختلافٍ في درجتها فقط (كالهجاج مثلاً)، ثمَّ إنّ هذه الأنماط جميعها آيلة إلى بنية خطابية نموذجية واحدة.

(N. Fairclough) س للكشف عن مختلف أنواع الخطابات

يضبط مفهوم الضرب من الخطاب بشروط: التكرار والجماعية والثبات الزمني، هذه هي الخصائص التي يُمكن من خلالها أن نحكم على تمثّل لغوي ما أنّه ضربٌ مخصوص من الخطاب يتفرّد عن غيره من الخطابات. وفي ظل هذه الشروط نجد أن ضرب الخطاب تتوسع وتكثر لتشمل كلَّ مجموعة خطابية من شأنها أن تلتقي في الشرائط الثلاث (2).

إذا كان التصنيف الشائع للخطاب يتم على أساس موضوعي (الموضوع) أي بحسب الموضوع الذي يدور حوله والمضمون الذي يُعالجه فإننا نجد هناك تصنيفاً آخر أكثر تحديداً يعتمدُ إضافة إلى الموضوع خصائص أخرى يمكن من خلالها الحكم على خطابات معيّنة أنّها تمثل ضرباً بعينه، وبمكنا من خلال تعميم هذا الطرح أن نستميز داخل الخطاب السياسي مثلاً ضرباً من الخطابات، فهناك خطاب سلطوي، وخطاب معارض، وخطاب إسلامي، وخطاب علماني... إلخ.

2-1-3 مفهوم السياسة:

إنّ السياسة عموماً بما هي ظاهرة إنسانية، كانت على مرّ أزمانها مجالاً مشتركاً ومشاعاً بين باحثين تختلف تخصصاتهم وتباين اهتماماتهم، فهي بطبيعتها متشابكة الخيوط متداخلة العلاقات مع عدد كبير من الحقول المعرفية، الإنسانية منها والطبيعية التجريبية، كلّ يرتبط بالسياسة، ويمتدُّ إليها بسبب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ السياسة ظاهرة اجتماعية بامتياز، وهذا يعني أنّها لا توجدُ إلا في مجتمع، وكما أنّ المجتمعات تختلف فيما بينها تبعاً لاختلاف الزمان والمكان فكذلك السياسة، فهي تحمل قدراً من الداتية والنسبية، وهذا ما انعكس على مفهومها وظاهرة وعلمها وموضوعها " فضفاضة، ذات معنى تمويهي أكثر منه تحديدي،

واستعصى على الباحثين تحديد وترسيم معالم متقاربة، وبالتالي تعددت المفاهيم والتصورات وتباينت التعريفات⁽¹⁾.
 في - أن نجلي أهم المفاهيم والتصورات التي علقت بهذه الكلمة: " (Politique)، إن في الثقافة العربية الإسلامية، أو في الثقافة الغربية.

2-1-3-1 الدلالة اللغوية:

: وجذره: « : أحدهما فساد في
 : « (2) ، وفي العين: » : س الذي ي
 : « (3) » : والوالي:
 : « (4) ، وفي الصحاح: »
 : « (5) ، ومثله في القاموس: »
 : « (6) ، وفي اللسان: » : رأسوه : سوسوه
 : « (7) . وفي الحديث: « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء،
 : « (8) : كَمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلْفَهُ نَبِيٌّ »

: أن أصل الكلمة (الجزر: سوس) ينطوي على دالتين أصليتين متضادتين
 (/) "السياسة" في اشتقاقها إلى كلا المعنيين، فالعسكري (395هـ) يردها إلى الأول،
 » النظر في
 (395) - وغيره كثير - يرجعها إلى المعنى الثاني (الطبع والخلق)؛ إذ يقول: «وأما قولهم: سسته أسوسه، فهو محتمل
 [:] كأنه يدلُّه على الطبع الكريم ويحمله عليه»⁽¹⁰⁾.
 وهذا الخلاف في توجيه أصل الكلمة يرتدُّ بنا إلى علاقة السياسة بالأخلاق، فالأول يربطها بالفساد وهو واقع
 السياسة المعاش، والثاني يربطها بالمأمول والسياسة المثلى، التي يُوصي بها الشرع، غير أننا لا ندعي
 () لم يكن يرمي بذلك إلى ما بُحِّسده السياسة من واقع، وإنما إلى
 التدقيق في السوس الذي يبلغ من صغر الحجم ما يحتاج إلى تدقيق وإحداق للبصر والبصيرة، فالسياسة عنده حسنُ
 تدبير فهي بذلك آيلة إلى صفات محمودة مطلوبة في السائس الذي يدقُّ في الأمور ويحسنُ تدبيرها وسياستها.

- 1 - إضافة إلى ذلك نجد أن تأصل الممارسة السياسية في المجتمع الإنساني وقدمها جعلها ظاهرة مستهدفة بالتفسير والتحليل منذ أزمان؛ مما جعل الحصيلة من التصورات والمفاهيم والتعريفات كبيرة جداً، لدرجة أضرت كثيراً بالمصطلح (السياسة)، فبقي مدلوله مهلهلاً في الأذهان، واستعمالاته متباينة مختلفة .
- 2 - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة (سوس). 119/3.
- 3 - العين، الخليل بن أحمد، مادة: سوس (336/7)
- 4 - تحذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، مادة () 56/3.
- 5 - () 938/3.
- 6 - القاموس المحيط، الفيروز آبادي () :551.
- 7 - () 108/6.
- 8 - هاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2/1392 231/12.
- 9 - الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع - / :27.
- 10 - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (سوس)، 119/3.

ومن هنا فكلمة "سياسة" كما ورد في نصوص المعاجم أعلاه تستعمل بمعانٍ متقاربة يمكن حصرها في معنيين:

- القيام على الأمر والتدبير وحسن الرعاية.

- () - (-).

ن بالنية الحسنة والأخلاق الفاضلة، وإصابة الصواب، ولهذا نجد الجاحظ (255) :

«وليس في الأرض عمل أكد سياسة العوام. وقد قال الهذلي :

سياسة لها (1)»

وصعوبتها تأتي من كونها تتطلب صفات معينة في السائس مثل:

...، وبهذا فإن أصل الكلمة في الاستعمال العربي القديم بالغ السمو، شريف المقصد، يتجاوز المصالح الشخصية

الإنيئة إلى المصالح العامة.

وأما في العربية الحديثة ف: « : تولى قيادتهم ؛ شئونهم... :

بإصلاحها... ساس : واعتنى بها» (2) : « : تتخذ ...

[و]: سلوك الأجه القضايا الداخلية والقضايا (3)»

واضح أنّ المعنى اللغوي للفعل () لم يتطور، وبقي محافظاً على المعاني التي وردت في المعاجم القديمة -

- فأخذت تدل على معنى أكثر تحديداً وعلمية، اكتسبته من المفهوم الحديث الذي أطره " .

: (Politique) فهو يرتد إلى الكلمة اللاتينية (politicus) والتي تشير إلى:

(4)، ثم شاعت (Politica) في بداية القرن السابع عشر (ق 17) ظهر

كتاب في الشؤون السياسية يحمل في عنوانه هذه الكلمة، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت تستعمل للدلالة على الشؤون

() ومن هذه الكلمة تناسلت اللغات الحية مفرداتها (Politique) في

(Politics) في الإنجليزية (Politique) للدلالة على معنيين مختلفين

لها، : وهراً إنسانياً أو ظاهرة إنسانية، والثاني: باعتبارها معرفة لما يصدر عن الإنسان بجوهر

اط يتمتع بهذه الصفة، وللتفرقة بين الأمرين تكون الكلمة بصيغة التذكير (Le Politique)

للدلالة على المعنى الأول (الظاهرة والجوهر)، وتكون بصيغة التأنيث (La Politique) للدلالة على المعنى الثاني

() (5).

1 - بيروت، ط2 1424 /2 301.

2 - المعاصرة، أحمد مختار عمر، مادة (سوس)، /2 1133.

3 - () /2 1134.

4 - Le Nouveau Petit Robert (Version électronique), Paul Robert. (politique): "du latin politicus « relatif au gouvernement » et « d'un homme d'État ».

5 - ينظر: علم السياسة (دراسة في قواعده الأصولية وضوابطه النظرية)، إبراهيم شليبي، الدار الجامعية للطباعة والنشر - بيروت، دط/ 1985. : 16-17.

وكذلك الأنجلو سكسون يستعملون كلمتين مختلفتين في مجال الدراسات السياسية، إحداهما كلمة (Politics) ومعنى العلم الذي يدرس السياسة، والأخرى (Policy) بمعنى منحى أو منهج في العمل⁽¹⁾.

2-2-1-2 الدلالة الاصطلاحية:

أن السياسة تحملُ قدراً كبيراً من الداتية والتسبية، وقد انعكس ذلك بشكل مباشر على والتعريفات التي قدّمت حولها، فهي قد تعرّف على أساس مذاهب وإيديولوجيات، أو انطلاقاً من أفكار وفلسفات، مما يطرح أمامنا تصوّرات ومفاهيم عديدة، قد لا نستطيع إحصاءها ولا الإلمام بها جميعها، ولكن نحاول تحجيم دائرتها بردها إلى الأسس التي بنيت عليها، أو المنابع التي صدرت منها.

" " . العلماء المسلمين قد اكتست طابعاً أخلاقياً جدلياً، ففي حديث النبيّ : «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»⁽²⁾ بأئها: تويّ أمور الرعية والقيام عليها عند علماء الشّرع قد ترقى لتطابق مفهوم الدّين والشّرع، أو على الأقل كل

التعاليم والنّظم الإسلامية التي تُنظّم علاقات الإنسان (المسلم) مع غيره⁽⁴⁾. بيد أن اتّساع دولة الإسلام في عهد العباسيين ودخول تنظيمات وضعية⁽⁵⁾ أدّى إلى ظهور ثنائية الشّرع والسياسة باعتبار الشّرع أحكاماً دينية والسياسة أحكاماً وضعية، و«صار يُقال: الشّرع والسياسة، وهذا يدعو خصمه إلى الشّرع وهذا يدعو إلى السياسة»⁽⁶⁾ "السياسة الشرعية"⁽⁷⁾ في محاولة من العلماء لردّ الأمور إلى

نصابها، وبيان المعنى الحقيقي لكلمة "سياسة" في الإسلام، ومن هنا نجد (751) «سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تُح من الظالم (8)» ويعتبرُ أصلها اللغوي عربيٌّ من السّوس بمعنى الطبع، و ظالمة ليس أصلها

عنده أنّها (9) "ياسه" على ما ذكره المقرئزي⁽¹⁰⁾ بأولها

على كتاب له سنّ فيه قوانين وأحكاماً غيّر التي في الإسلام، وألزم بها أتباعه وشاعت حتى بين المسلمين بعد أن

- 1 - : (معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع) - طوني بينيت وزملاؤه، تر: سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة- بيروت، ط1/2010 : 412 .
- 2 - محمد زهير : 169/4 1422/1 (رقم الحديث: 3455).
- 3 - ينظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محي الدين النووي، 231/12. التراث، دط/دت، 231/2.
- 4 - ينظر : شرح رياض الصالحين، محمد صالح محمد - 1426/ 636/3 .
- 5 - ينظر : مجموع الفتاوى، تقي أحمد : الرحمن محمد جمع - 1416/ 1995- 392/20 .
- 6 - : 393/20 .
- 7 - وقد ظهر عنوانا لبعض الكتب : (السياسة الشرعية) لشيخ الإسلام ابن تيمية (728هـ)، و(الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، لابن (751) .
- 8 - الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيم الجوزية، مكتبة / : 4 .
- 9 - والآثار، أحمد : - بيروت، ط1/1418 . 384/3 .
- 10 - :

ملخص

يعالج هذا البحث البنية التركيبية للخطاب السياسي الإبراهيمي من خلال تحليل وحدته القاعدية: "الجملة" ورصد جميع أنماطها وتركيباتها، وجاء في مقدمة ومدخل وثلاثة فصول، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للموضوعات.

وقد تعرض في المدخل لتأصيل جملة من المصطلحات المفتاحية كالبنية والتركيب والخطاب والسياسة، إضافة إلى تأطير المدونة وتحديدتها في إطارها الزمني والموضوعي، ثم الفصل الأول تناول الجملة تأسيساً وتأصيلاً، والفصل الثاني عالج الجملة من خلال مقولة التحويل والتوليد والأطر اللسانية الحديثة وما قدم من محاولات عربية في هذا المضمار، ثم الفصل الثالث جاء حقلًا تطبيقيًا خالصًا تم فيها تحليل جميع أنماط المدونة. وفي الخاتمة تم تسجيل أهم الملاحظات والنتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية

البنية التركيبية؛ الجملة؛ الخطاب السياسي؛ الجملة التحويلية؛ الجملة التوليدية؛ التحويل؛ محمد البشير الإبراهيمي؛ الترتيب؛ الحذف؛ الزيادة.

نوقشت يوم 06 ماي 2014